مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٢)، العدد (١)، ص ص ٥١٧-٥٧٠، (محرم ١٤٤٠هـ/ سبتمبر ٢٠١٨)

المدن العلمية في المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة (دراسة تاريخية حضارية)

د. محمد بن منصور الحاوي
أستاذ التاريخ المشارك بقسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمدن العلمية في المخلاف السليماني – منطقة جازان– خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وتتبُّع كلّ ما ورد عنها من معلومات وقفتُ عليها في ثنايا المصادر التاريخية والبلدانية وغيرها، متناولا نشأة هذه المدن، وتطورها عبر العصور التاريخية الاسلامية، مع الإشارة إلى أهم ملامح الحياة العلمية فيها، والدور الّذي قامت به مساجدها وجوامعها في الحركة العلمية، والإلماح إلى الأثر الّذي تركته هذه المدن في حركة النشاط العلمي في إقليم المخلاف السليماني خلال هذين العصرين. كما تطرقت في التمهيد بإشارات سريعة الى بعض المدن والقرى التي ظهرت في العصور الاسلامية المبكرة ثم اندثرت، وزالت من الوجود، وخاصة مدينة عثر عاصمة الاقليم في العصور الاسلامية المبكرة، والتي كان للجامع الكبير بها أثره في الحركة العلمية وقت ذاك.

المقدمـــة

تُعدُّ نشأة المدن والقرى في المخلاف السليماني – منطقة جازان – من الأمور الدّالة على العمران المتمدّن في هذا الإقليم، ولأنّ الموضوع مُحدّد بالعصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة فلن أعرض للإشارات التي وردت في الكتابات المسندية اليمنية، أو تلك اللُّقى والآثار من النقوش التي تمّ العثور عليها في أكثر من موقع في هذه المنطقة مما فيه دلالة على قدم الإستيطان البشري فيها، وعلى وجود القرى والمدن بها منذ عصور قديمة، واستمرار ازدهارها في العصور الاسلامية المبكرة. لكن يبقى ضعف التدوين وقلّة الاهتمام بالتعريف بهذه المدن والقرى في المصادر التاريخية المكتوبة في العصور الإسلامية يُمثّلُ مشكلة أمام الباحث للوقوف على ما يشفي الغليل، ويُلقي الضوء على هذه المدن والقرى، ولعلّ من أوائل من عَرضَ لذكر بعض هذه المدن والقرى وألمحَ إلى أهميتها في هذا الإقليم منذ وقتٍ مبكرٍ من التاريخ الإسلامي هما الهمداني، والمقدسي، وغيرهما. فالهمداني على سبيل المثال ذكر حين كلامه عن مخلافي بيش وعثَّر مدينتي (بيش) (وعَثْر)[1]، وغيرها مما يقع في شماليّ المخلاف السليماني.

(١) في كتابه صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، دار اليمامة، (الرياض، ١٩٧٤م)،ص ص: ٢٨، ٨٢، ٩٨، ١٣٢، ١٣٥، ٢٣٢، ٢٤٠، على سبيل المثال. وسيأتي التعريف بهما مفصلا.

وعندما تطرّق الى مخلاف حكم - وهي مما يقعُ في جنوبي إقليم المخلاف السليماني -، أشار إلى عددٍ من هذه المدن والقرى العامرة ومنها: (الخصوف)[٢] و(الساعد)[٣] و(السقيفتين)[٤] و(الشرْجة)[٥] وغيرها.

(٢) الخصوف: مدينة مندثرة كانت قاعدة مخلاف حكم في جنوبي المخلاف السليماني على وادي خلب. ولا يُعرف موقعها الآن على وجه التحديد بالرغم من محاولات العقيلي تحديد مكانها. أنظر: الهمداني، المصدر نفسه، والآثار التاريخية في منطقة جازان، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (الرياض،١٩٧٩م)، ص٥٧وما بعده.

(٣) الساعد: إحدى مدن المخلاف السليماني المشهورة، وتعدّ من مراحل طريق الحج اليمني، تقع على وادي خلب، وكانت قاعدة مخلاف حكم، وعاصمة إمارتهم. ثم أصبحت عاصمة إمارة السليمانيين بعد استيلائهم على مقاليد الحكم في المخلاف السليماني، عقب نزوحهم من الحجاز في منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً على رأس الشريف حمزة بن وهاس بن داوود الحسني ونزولهم بها وبمخلاف حكم عموماً في أول الأمر، واستطاعتهم الاستيلاء على مقاليد الحكم فيها قبل امتداد نفوذهم الى القسم الشمالي من المخلاف وقاعدته مدينة عثر، وبقيت كذلك حتى تأسيس مدينة جازان العليا في شرق أبي عريش مع قيام إمارة الغوانم في أواخر القرن السابع الهجري تقريبا. فبدأت مدينة الساعد تدخل مرحلة الضعف حتى اندثرت. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص٧٥-٧٦,٢٥٨، والعقيلي، المعجم الجغرافي، مقاطعة جازان(المخلاف السليماني)،دار اليمامة للبحث والنشر، ط٢، (الرياض،١٩٧٩م)، ص ص٢١٣ وما بعدها.

(٤) السقيفتان: قرية مندثرة في مخلاف حكم جنوبي المخلاف السليماني، كانت تقع على وادي خلب. وقد اندثرت منذ عهد بعيد. ولم يذكرها العقيلي في معجمه الجغرافي. كما لم يذكرها غيره من الأقدمين، وانفرد الهمداني بذكرها في بلدان مخلاف حكم بوادي خلب في منطقة جازان الآن. أنظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص٥٧، ١٢٥، ٢٥٨.

(٥) الشرجة: مدينة ساحلية مشهورة على طريق الحج اليمني، وعرفت بشرجة حرض، وهي ما يسمى الآن بالموسم. وقد فصّل العقيلي في كتابه الآثار التاريخية،صص٨٥ وما بعدها، الحديث عن موقعها القديم، وأهميتها، وانظر أيضاً آثار منطقة جازان، ضمن سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، ص ص٩٣،ومابعدها.

عدا عن تلك التي تقع في أقصى شمالي هذا الإقليم وهي حدود المخلاف السليماني الشمالية في العصور الاسلامية الوسيطة [٦].

ووردت إشارات عند المقدسي – وإن كانت أقلّ مما عند الهمداني - عن مدينتي (بيش) وأنّ بها دار الإمارة لبني طرف، و(عثر) الّتي كانت قصبة إمارتهم في القرن الرابع الهجري، والفُرضة المشهورة وقت ذاك، وكذلك أشار إلى (الشرجة) وغيرها.

وفي معاجم الجغرافيين والبلدانيين كالبكري وياقوت - وهو أوسعهم ذكراً لبلدان المخلاف ومدنه وقراه – وغيرهما، فقد وردت معلومات وإن كانت مُقتضبة لكنّها تدلّ على وجود هذه المدن والقرى وانتشارها في إقليم المخلاف[٧]، ومع حركة التاريخ ونتيجةً لعددٍ من العوامل الطبيعية والبشرية اندثرت العديد من هذه المدن والقرى، وعُمّيت على الباحث دِمنها، وأصبحت أثراً بعد عين.

ومع ذلك فهناك مدنٌ أخرى نشأت وتطورت، وبرزت خلال العصور الاسلامية الوسيطة وما بعدها، ومازالت، وكان لها دورها في التكوين الجغرافي لإقليم المخلاف السليماني - منطقة جازان - وأثرها على حركة العلم ونشاطه عبر العصور الاسلامية وبخاصة المتأخرة منها، وعلى الرّغم من ذلك فقد بقيت قلّة المعلومات عن هذه المدن عقبةً أمام أيّ باحثٍ يبتغي تناولها بالدراسة والبحث، بيد أنّ النّزر اليسير المنثور في عددٍ من المصادر الّتي وقف عليه الباحث لم يكن حائلاً دون

(٦) حدَدَ عمارة اليمني إقليم المخلاف السليماني في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة بأنه يمتد من شرجة حرض جنوباً إلى حلي بني يعقوب شمالاً. انظر: تاريخه المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبن وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، ط٤، (صنعاء، ٢٠١٠م)، ص٦٦.

(٧) وردت في صفحات عديدة من كتابه: معجم البلدان.

لم أتطرق الى عاصمة المنطقة الآن، وهي مدينة جازان، لأنها لم تبرز الّا في العصور الحديثة.

العزم على بذل الجهد في تتبعها وجمعها سعياً إلى توثيق تأريخ هذه المدن، وإبرازاً لمكانتها ضمن مدن الجزيرة العربية عامة، وجنوبيّها على وجه الخصوص، ودورها الحضاري الّذي نهضت به وخاصةً في نشر العلم، وحركة التعليم.

وقد اقتصر الباحثُ في هذا الموضوع على أهمّ المدن التي ظهرت في العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة وأصبح لها شأنٌ كبيرٌ، ومكانةٌ متميزة، وبخاصة في جوانب النشاط العلمي والأثر على الحياة العلمية في هذه العصور، والتي بقيت موجودةً إلى وقتنا الحاضر، ومع هذا فقد مهّدتُ بنبذٍ يسيرةٍ بحسب ما تيسر من معلومات عن مدنٍ وقرىً أخرى كانت موجودة ولها مكانتها في العصور المبكرة والوسيطة ثم دثرت وغشّاها رماد النسيان حتى لم يبق منها إلا آثارها، أو ربما خفي موضعها الآن، وقد اهتبلتُ فرصةَ هذا البحث كي أنوّه عن بعضها، وهي إشاراتٍ سريعة كنوعٍ من التوثيق لها لندرة المعلومات عنها مع التركيز على ماله علاقة بالنشاط العلمي، ولذلك توسعتُ قليلا في هذا التمهيد عن مدينة (عثر) عاصمة الإقليم وقت ذاك.

ثم تناول الباحثُ بالحديث المفصّل – قدر الجهد والطاقة، وعلى ضوء المادة العلمية المتاحة – أهمّ المدن المشهورة منذُ تلك العصور الوسيطة والمتأخرة وما تزال الى عصرنا هذا، وهي ثلاث مُدن تُعتبر غُرّةً في مدن وقرى منطقة جازان، وبخاصة في النشاط العلمي [٨].

ثم جعلتُ كل مدينةٍ من المدن الثلاث في مبحثٍ وعنوانٍ منفصلٍ حاولتُ فيه تتبع كل شاردةٍ وواردة عن نشأة هذه المدينة وامتدادها التاريخي، وما وردَ عنها مما وقع تحت يدي من معلومات تاريخية تتعلق بها، كما ألمحتُ في إشاراتٍ إلى أبرز ملامح

أهميتها العلمية، وأوردتُ نماذج من أهمّ علمائها وفقهائها وأثرهم على الحركة العلمية فيها، وفي إقليم المخلاف السليماني عامة، ودور مساجدها وجوامعها في هذا النشاط العلمي، محاولاً عدم التوسع في هذا الجانب لأنّ هناك دراستين للباحث رصدَ فيهما الحياة العلمية في بلاد المخلاف خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة، إحداهما سبق نشرها[٩]، وأُخرى عن الحياة العلمية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين أعان الله على إتمامها.

هذا والله أسألُ أن أكون قد وُفقتُ فيما قصدتُ من إبراز مكانة هذه المدن الثلاث، وأثرها العلمي، إنّه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

منذُ أن ظهرت مدينة (عثْر) [١٠] كعاصمة لأول إمارةٍ في ما سُمي بعد ذلك بالمخلاف السليماني[١١] - منطقة جازان - في منتصف القرن الثالث الهجري

(٩) نشر هذا البحث في مجلة العلوم الإنسانية في كلية البنات، بجامعة الأزهر، ع١، ٢٠٠٧م.

(١٠) عَثْر، عَثَّر، بالتخفيف أو التثقيل كما ترد عند بعضهم، مسمّى يُطلق على المدينة نفسها وعلى الإقليم، ولكن يُرجّح أنَّ المدينة هي بالتخفيف "عَثْر" كما ضبطها العلامة صالح النمازي في كتابه: الاقتصاد شرح بانت سعاد، ورقة١٥ب من نسخة الامبروزيانا. والشرجي في: طبقات الخواص، الداراليمنية للنشر،ط٢,١٩٩٢م،ص٢٠٢. وهي العاصمة الأولى للمخلاف السليماني حينما قامت إمارة بني طرف واستمرت إلى النصف الأخير من القرن الخامس الهجري، وعقب سقوط هذه الإمارة بدأت أهميتها تضعف حتى اندثرت كلياً. وقد أشار المقدسي، والهمداني إلى أنها كانت في القرن الرابع الهجري من المدن العظيمة، وكانت ميناءً هاماً في التجارة العالمية. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٣، والهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٤، ٢٤٠ على سبيل المثال.

تقريباً -التاسع الميلادي - على يد بني طرف[١٢]، حتى أصبحت مدينةً ذاتَ شهرةٍ تجاريةٍ عالمية إذ كانت فُرضْةً وميناءً يربطُ مدن اليمن الداخلية كصنعاء وصعدة بموانئ التجارة العالمية وقت ذاك، وعاملاً رئيساً في استقبال ونقل البضائع والمنتجات لهاتين

(١١) على الرغم من أنّ بعض المصادر والمدونات المحلية تعيد التسمية إلى سليمان بن طرف، أحد أمراء بني طرف، إلا أنّ المرجّح هو نسبته إلى الأشراف السليمانيين الوافدين من مكة بقيادة حمزة بن وهاس بن داوود بن أبي الطيب في منتصف القرن الخامس الهجري تقريبا، والّذين استولوا أولاً على مخلاف حكم في جنوبي الإقليم بعد ضعف وسقوط إمارة الحكميين كإقطاع من بني نجاح، ثم استطاعوا أيضاً مدّ سيطرتهم على مخلاف عتّر كإقطاعٍ أيضاً من بني نجاح عقب أن خلا من أيةِ سلطة محلّية بعد هزيمة أمرائه من بني طرف، وتشتتهم على يد الصليحيين في موقعة الزرائب، وبعد أن ضعفت دولة الصليحيين وانحسرت سلطتهم عن بلاد المخلاف السليماني أنظر إشارات عن هذا عند: إدريس بن محمد السليماني، جوابات السيد نظام الدين ادريس بن محمد السليماني، المسمى (أحكام الدور) مخطوط بمكتبة برنستون رقم ٧٨، الورقات: ٤٥أ،ب،٤٦أ،ب، وغيرها، وادريس بن الحسن الأنف، عيون الأخبار ج٧،ص ١٩،ومابعدها. وأحمد الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان(المخلاف السليماني)في العصور الاسلامية الوسيطة،ط١ (الرياض،١٩٩٢م)ص ص،٣١ وما بعدها.

(١٢) كان بنو طرف (طرف، الحسن ابنه) مع مولاهم الأمير عيسى بن محمد والد أبي المغيرة المخزومي في مخلاف بيش والّذي كان والياً عليه من قبل الدولة العباسية في حدود سنة ٢٥٠هـ تقريباً، وبعد أن استدعاه الخليفة المعتز منها لمواجهة ثورة اسماعيل بن يوسف العلوي في سنة ٢٥١هـ. فلا يبعد أن يكون عيسى بن محمد قد استخلف مواليه من بني طرف على بيش، ومن ثمّ كان هذا وسيلة إلى إقامة إمارة لهم بعد ذلك هناك، وتوسعوا بعدها على حساب الحكميين أصحاب مخلاف حكم ومدّوا حكمهم بين حلي شمالا، والشرجة جنوباً حتى سقوطهم في منتصف القرن الخامس الهجري.(تم استخلاص هذه الفقرة من كلّ من: الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، دار اليمامة (الرياض ١٩٧٤م) ص ص ٩٧،٩٨،٢٥٩، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٨٣م) ص١٤٩، ويحيى بن الحسين بن القاسم، إنباء الزمن في تاريخ اليمن. نسخة معهد المخطوطات، ورقة ٦٥. وغيرها.

المدينتين وغيرها من بلاد المخلاف وجنوبي الجزيرة العربية [١٣]، وبموازات ذلك كان جامعُ (عَثْر) جامعاً عظيماً عُرف وقت ذاك بأنّه محطّ رحال بعض طلبة علم الحديث الذين كانوا يرتحلون من اليمن أو عن طريقها إلى الحجّ فيمُّرون في (عَثْر) إذ هي إحدى محطات الحاج المعروفة [١٤].

ومن النُّتَف القليلة في بعض المصادر نستدلّ على أنّه كان لمدينة عَثْر أهميتها العلمية وإسهامها في النشاط العلمي وقت ذاك وخاصة في الحديث. فالسمعاني، وابن الأثير، وياقوت الحموي، وابن ماكولا، وابن حجر وغيرهم يذكرون عند حديثهم عن هذه المدينة أنّ بها بعض علماء الحديث ورواته المنتسبين إليها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، وكان بعضهم يعقدُ مجلس العلم لرواية الحديث وإسماعه للطلاب في جامع عثر[١٥]، بل هناك ما يُفيدُ أنّ بعض طلبة العلم المنتسبين إليها قد خرج إلى اليمن في عصرٍ مبكرٍ للأخذ عن الإمام المحّدث عبدالرزاق الصنعاني[١٦]. قال ابن ماكولا "وأما العَثْري - بعين مهملة وثاء معجمة

(١٣) صفة جزيرة العرب، ص ٩٨، والمقدسي، ص ١٠٣، ونايف الشرعان، التعدين وسك النقود في الحجاز ونجد وتهامة في العصرين الاموي والعباسي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، (الرياض٢٠٠٧م) ص١٦٤، على سبيل المثال.

(١٤) الهمداني، المصدر السابق، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(١٥) أول من أشار إلى جامع عثر ووصفه بأنّه جامع عامر هو المقدسي البشاري حينما وصل عثر في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ومن المؤكد أنّ هذا الجامع بقي منارة للعلم حتى دثرت عثر في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. (أحسن التقاسيم ص ١٠٣). وقد وجدت بعثة وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف – وقت ذاك – في العام ١٩٨٥م. بقايا الجامع، وُوصف بأنه مسجدٌ كبيرٌ، مع بقايا عدد من المباني.

(١٦) هو المحدث الكبير: عبدالرزاق بن همام الصنعاني الحميري إمام علامة محدث (١٢٦هـ -٢١١م) من كبار المحدثين في عصره، له كتاب المصنف من أشهر مجاميع الحديث. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ٢٠٠١م). ٥٦٤/٩ وما بعدها.

بثلاث ساكنة، والراء - فهو يوسف بن إبراهيم العثري منسوبٌ إلى بلدة باليمن يُقال لها "عَثْر"، يروي عن عبدالرزاق بن همام، يروي عنه شعيب بن محمد الزارع(١٧).

فإذا علمنا أنّ الزارع توفي في شوال سنة ٣٠٨هـ، وعبدالرزاق الصنعاني توفي في سنة ٢١١هـ، قدَّرنا أنّ يوسفاً العثري وُلد (بعثْر) أواخر القرن الثاني الهجري، على اعتبار أخذه الحديث عن عبدالرزاق، وطال عُمره حتى أدركه شعيب الزارع فروى عنه ربما في القرن الثالث الهجري، وقد يكون بمدينة " عثْر" التي يدلّ هذا النّص على أنّها كانت معروفة قبل أن يتخذها بنو طرف عاصمة لهم.

ومما يدلّ على أنّ "عثْر" كانت مدينةً علميةً مشهورةً في المخلاف منذ وقتٍ مبكر، ويدلّ أيضاً على أثر جامعها في النشاط العلمي، ما ساقه ابن الأثير وغيره في التعريف بمدينة "عثْر" فقال: " العثر بفتح العين والثاء المثلثة وفي آخرها الراء – هذه النسبة إلى عثْر وهي مدينة باليمن(١٨) منها أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي الحارثي العثرْي، حدَّث بحديثٍ منكرٍ عن أبي جعفر محمد بن عبدالرحمن المقرئ، سمع منه - أي من الحارثي - هبةُ الله بن عبدالوارث الشيرازي بمدينة عثر"(١٩).

---

(١٧) رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، صححه نايف العباسي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، ١٩٦٣م)، ٤٤/٧، ولم أجد عن الزارع – الذارع – ترجمة فيما بين يدي من المصادر. لكنّ في ترجمة أبي عمرو بن حمدان عند الذهبي، ورد في شيوخه من أهل بغداد فلعل الذارع أخذ عن العثري في إحدى رحلات الحج حين مروره بعثر والله أعلم.،سير أعلام النبلاء، ٣٥٦/١٦، ٣٥٧.

(١٨) معلومٌ أنّ اصطلاح اليمن قديماً مرادفٌ لكلمة الجنوب، أي ما كان جنوب الكعبة المشرفة، ومنه المخلاف السليماني، وليس اليمن المعروف بحدوده الآن. الزيلعي، الأوضاع، ص ٤٠. وهذا يدلّ على أنّ مسمى المخلاف السليماني لم يكن مشهوراً أو معروفاً لدى العلماء، والمؤرخين من خارج حدود الإقليم وبلاد اليمن. والله أعلم.

(١٩) في كتابه: اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت). ٣٢٣/٢ (باب العين والثاء).

وعند السمعاني ورد أوضح من هذا السياق فقال: "وهي مدينةٌ باليمن منها أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي الحارثي العثْري، حدّث بحديثٍ منكرٍ عن أبي جعفر محمد بن عبدالرحمن المقرئ، سمعَ منه هبة الله بن عبدالوارث الشيرازي الحافظ وقال: أنا[٢٠] أبو العباس الحارثي بمدينة عثْر وأنا أبرأُ من عهدته"[٢١].

ويبدو أنّ الحارثي كان يُحّدثُ في جامع عثْر المذكور، وأنَّ أَخْذَ الشيرازي عنه كان حينما خرج في رحلة الحج إلى مكة، خاصةً وأنّ من ترجم له يذكرُ في ترجمته أنه رحّال، جوّال في طلب الحديث، وأنه كتبَ الحديث بعدّة مدن وبلدان منها اليمن وذكر وفاته سنة ٤٨٥هـ[٢٢].

وعلى هذا فيكون قد أخذ عن الحارثي في منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً، وبه نستدلّ على أنّ الحارثي كان يُحدّث في جامع عثْر خلال هذا الفترة. ومما يدلّ أيضًا على أهمية عثْر العلمية خلال هذه القرون أنّ بعض المؤرخين نسبوا إليها علماء وشعراء منهم: محمد بن إبراهيم العثْري، المعروف بابن قُربة الشاعر[٢٣].

---

(٢٠) وهي من مصطلحات المحدثين واختصاراتهم، وتعني: أخبرنا.

(٢١) الأنساب، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد، ١٩٦٢) ٢٣٤/٩، ولم يذكر هو ولا غيره ممن أورد هذه المعلومة نصّ الحديث حتى نستطيع الوقوف على تخريجه.

(٢٢) انظر على سبيل المثال ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت) ٣١٤/١٦، وابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، (بيروت، ٢٠٠١م)، ٣٦٣/٧٣، وفيه أن وفاته سنة ٤٨٦هـ.

(٢٣) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب التاريخ والتراجم. وإن كان قد ذكره السمعاني مرة بـ "ابن قربة" وأخرى "ابن قرنه" كذا.

قال ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه "وأبو الربيع سليمان بن عبدالله بن الحسن ابن الريحاني روى عن محمد بن إبراهيم العثري اليمني شيئاً من شعره"(٢٤).

كما نُسب إليها جماعة أخرى من العلماء الذين ارتحلوا عنها عقب اندثارها إلى اليمن وغيرها(٢٥).

ثم ظهرت بعد ذلك مدنٌ أخرى في أنحاءَ مختلفة من المخلاف لا نعرفُ عنها إلا نتفٍ قليلة نتيجة عدم الاهتمام بها، أو ربما لكونها لم تتمتع بأهميةٍ كبيرةٍ وشهرة وقت ذاك، ووردت الإشارة في هذه النتف إلى وجود جوامع بها. وعليه لا يبعد أن يكون بها حلقٌ للعلم، ومنها على سبيل المثال مدينة الراحة المعروفة براحة المؤيد، وربما كانت هي "أبو تراب" التي ذكرها ياقوت الحموي، فقد أشار إلى جامع الراحة ابن المجاور في تاريخه(٢٦)، خاصة وقد نُسب اليها بعض علماء من

(٢٤) شمس الدين محمد بن عبدالله الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، جـ٤، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٣م) ص٢٣١. وترجمة الريحاني هذا – إن كان هو المقصود– وردت عند الفاسي في كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م) ٣٨/٤، وما بعدها. لكنه لم يذكر روايته عن العثري، فلعل من روى عن العثري ريحاني آخر. والله أعلم.

(٢٥) بامخرمة، قلادة النحر، جـ٣، ص ص ٢٩٦٧، ٣١٣٤، ٣١٣٥، وغيرها، وذكر منهم بنو صالح العثريون، وبنو الطواشي وغيرهم.

(٢٦) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز – المسمى – تاريخ المستبصر اعتنى به أوسكار لوفقرين، منشورات المدينة، ط٢، (بيروت، ١٩٨٦)، ص٥٥. ويذكر أنّ الذين اختطها هم الأشراف منذ زمن قديم، ونُسبت للمؤيد،أحمد بن قاسم بن غانم السليماني، المقتول سنة ٦١٠هـ.

آل شافع[٢٧]، ولكنها دثرت بعد ذلك حينما اجتحفها السيل وأهلها في أواخر القرن الثامن الهجري تقريباً[٢٨].

وبرزت مدينة جازان العليا التي أسّسها الأشراف الغوانم عقب خروجهم من مدينة الساعد[٢٩] التي ضعف شأنها بعد حملة عبدالنبي بن مهدي على الأشراف السليمانيين بها وإنزاله هزيمة كبيرة بهم والإستيلاء عليها، وكان من أسباب هزيمتهم عدم وجود حصون بالساعد يلوذون بها ويتحصنون فيها، فاختطوا مدينة جازان العليا في مكان منيع، وحصَّنوها بالقلاع والأسوار، وكان من أهم خططها جامعها الكبير ذو المئذنة العالية، وبقيت جازان العليا عاصمةً للمخلاف، يشهد جامعها دروس العلم في القراءات القرآنية، وغيرها من فنون العلم[٣٠] حتى تعرضت المدينة لغزوٍ جائرٍ من أشراف مكة سنة ٩٤٣هـ[٣١].

---

(٢٧) هم من الأسر العلمية المشهورة في المخلاف السليماني، وبدأت الاشارة إلى بعض علمائهم في بعض المصادر منذ منتصف القرن السابع الهجري تقريبا، ومنهم: أبو محمد علي بن شافع وغيره.الجندي، السلوك،٣١٣/٢، الملك الأفضل الرسولي العطايا السنية، تحقيق عبدالواحد الخامري،(صنعاء،٢٠٠٤م) ص٤٧٨.

(٢٨) الأهدل، تحفة الزمن، تحقيق عبدالله الحبشي، ١٣/٢.

(٢٩) سبق التعريف بها، ومما تجدر الإشارة إليه أنّها بقيت معروفة إلى ما بعد القرن السابع الهجري، ثم ضعفت حتى دثرت إذ غطى عليها تأسيس مدينة جازان العليا في القرن السابع الهجري تقريباً.،صفة جزيرة العرب، ص ٩٨، وسيرة الإمام أحمد بن سليمان، لسليمان الثقفي، تحقيق عبدالغني عبد العاطي، عين للدراسات والبحوث،(القاهرة، ٢٠٠٢م). ص ٢٥١-٢٥٢، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ١٧١/٣، وغيرها. وديوان ابن هتيمل، تحقيق عبد الولي الشميري،١/ ٢٦٥،ق٦٣،ب ٢٤.

(٣٠) على سبيل المثال: انظر: الأهدل ١٣/٢، الشرجي، طبقات الخواص، ص ١٨٠، والعقيق اليماني للنعمان الضمدي حوادث سنة ٩٦٢هـ في ترجمة الفقيه أحمد بن مقبول الأسدي.

(٣١) عرضتُ لذلك بالتفصيل في بحثي الموسوم بـ " قلعة الثريا ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية، مجلة العصور، مج١٧، ج١، يناير ٢٠٠٧، (دار المريخ، لندن) ص ص ١٠٥ وما بعدها.

ويظهرُ أنّهم لم يهدموا الجامع فيما هدموا من المدينة وأحرقوا، وذلك لأنّ النعمان الضمدي يذكرُ أنّ هذا الجامع العظيم ذو القبة والمنارة – المئذنة - قد تم هدمه إلى الأرض في سنة ٩٥٤هـ(٣٢). وكان هذا إيذاناً باندثار المدينة إلى الآن، وانتقال أهلها إلى أبي عريش كما سيأتي.

وعلى أية حال لا تكادُ مدينة أو قرية في بلاد المخلاف السليماني طيلة عصور التاريخ الإسلامي الوسيطة إلاّ وكان لها نشاطا علميا، وفيها علماء يقيمون حلق العلم والتدريس في مساجدها، ويسهمون في الحركة العلمية ومنها على سبيل المثال، قرية الجبّ(٣٣)، في مخلاف بيش، وكان بها أسرة آل أبي الرجال(٣٤) العلمية، وقرية بيش نفسها(٣٥) كان بها من كبار العلماء نظام الدين يحيى بن علي الفليتي

(٣٢) العقيق اليماني، أحداث سنة ٩٥٤هـ.

(٣٣) وهي من الأسر العلمية القديمة في مخلاف بيش وهم آل بيت صلاح وعلم وورع. العقيق اليماني حوادث ووفيات سنة ٩٤٢هـ، ووردت تراجم لبعضهم عند ابن أبي الرجال في مطلع البدور. انظر على سبيل المثال، ٥٣١/١، ٧٣١/٢، ٧٣٢.

(٣٤) وهي قرية مندثرة على وادي بيش. ويغلب على الظن أنها القرية المعروفة الآن بقرية (جبجب) قريباً من مركز الفطيحة على ضفة وادي بيش الشمالية الشرقية. وهي مما فات العقيلي في معجمه. ويظهر أنها المقصودة بقول الشاعر الأحوص:

أمن آل سُلمى الطارق المتأوّب ألمّ وبيشٌ دون سلمى وجبجب. والله أعلم.

(٣٥) ورد عند الهمداني، والمقدسي وغيرهما ما يفيد بوجود مدينة مشهورة بهذا المسمى على وادي بيش، بل إن المقدسي ذكر أن من مدن ناحية عثر مدينة بيش، وكذلك ذكر أن في مدينة بيش دار السلطان وبجوارها الجامع،أحسن التقاسيم، ص ٧٦، ٩٠، ١٠٣، كما ورد في العقيق اليماني التصريح بوجود مدينة بيش مثلاً حوادث سنة ٩٥٠هـ. قال: " بيش وأعمالها" وكذا حوادث ووفيات ٩٥١هـ، وقبلها في حوادث سنة ٩٤٢هـ ذكرها بلفظ قرية بيش، ويغلب على الظن أنها المقصودة الآن بقرية بيش العليا. والله أعلم.

السليماني[٣٦]، وغيره، وقريتي (الخُميمية) و(العَثِيرة)[٣٧]، وهي من قرى مخلاف بيش وكان فيها من العلماء إدريس بن علي السليماني وغيره[٣٨]، ويبدو أنّه كانت له دروس وإملاء على الناس، وعلى من يحضر مجالسه العلمية في بلدته (العثيرة) يُستشفُّ هذا من قوله في أول كتابه أحكام الدور " أمّا بعد فإنّ ولاة الشرف وسادات

(٣٦) هو أحد العلماء الزيدية البارزين وقت ذاك، وكان يسكن بيشا وبلغ من مكانته في العلم بمذهبه أن مدحه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ودعاه إلى تولّي الامامة، وأنّه حريٌّ بها لمكانته في العلم.وأدرك القرن السابع الهجري، ولكن لا يعرف تاريخ وفاته. انظر بعض أخباره في السيرة المنصورية للثقفي، ٥٦/٢، ٥٧، وديوان الامام المنصور عبدالله بن حمزة،وجوابات السيد ادريس السليماني –مصدر سابق– ورقة ٥٢أ، والجواهر اللطاف للقيي، ورقة ٩٢.

(٣٧) هما قريتان مندثرتان،وكانتا تقعان على الضفة الغربية من وادي بيش ونقطة التقائه بوادي وساع، فأما الخميمية: فهي قرية تقع في مخلاف بيش إلى جهة الغرب قال ابن أبي رجال عنها: " بلدة عظيمة واسعة وتقع بين العثيرة، والدهنا، وكانت ولايتها للسيد إدريس بن محمد بن علي السليماني التهامي، ولأهل بيته، وكان هذا السيد إماماً عظيم القدر متكلم في العلوم، وهو المشهور بإدريس التهامي، عاش في أيام الإمام أحمد بن الحسين (أبو طير). وكان يُطلق على هذه القرية الزهراء (مطلع البدور، ٥٣١/١-٥٣٣). وهي مندثرة الآن، وقامت على آثارها قرية صغيرة تُعرف بالمحاصية. وأما العثيرة، فقد تلاشت ومازال موضعها معروفا بهذا المسمى وتنتشر على رمالها كسر من الفخار وغيرها، وكلاهما تقعان في محافظة العالية.– مشاهدات الباحث–

(٣٨) هو أحد علماء مخلاف بيش خاصة والسليماني عامة كان عالماً بارزاً في مذهبه، وتجاوزت شهرته المخلاف إلى بلاد اليمن، وحينما قتل الإمام أحمد بن الحسين(أبوطير) وجّه إليه أهل الحلّ والعقد وعلى رأسهم الفقيه الحسن بن الرصاص في صعدة رسالة يطلبون إليه أن يقدم عليهم لتنصيبه إماماً للزيدية فأجابهم برسالة مطولة يعتذر فيها متعللاً بأمورٍ فصّلها في الرسالة منها زهده في ذلك، وعدم طاعة من حوله من الناس.. الخ ومستشهداً على ذلك بآيات ونقول من مذهبهم. وقد قتل في إحدى الصراعات والحروب الأهلية بين أشراف وادي بيش ووادي ووساع. له كتاب أحكام الدور– جوابات السيد ادريس السليماني– انظر: يحي بن الحسين، طبقات الزيدية الصغرى، ورقة ١٧٢، وابن أبي الرجال، مطلع البدور، ٢٥٧/٤، ورسالته الجوابية محفوظة في مكتبة الامبروزيانا ولدى الباحث صورة عنها.

السادات..ظهرت لهم منّي مسائل أمليتُ متونها على العامّة، وأوضحتُ أصولها للخاصة... الخ"[٣٩].

ومنها على سبيل المثال قرية الحجرين[٤٠]، وكان فيها من علماء آل الديباجي ثُلة منهم الفقيه محمد بن صديق الديباجي[٤١]، وكان يجلس للتدريس بجامعها، وقد أخذ عليه بعض طلبة العلم[٤٢]، إلى غير ذلك من القرى والهجر العلمية[٤٣] التي كان لها أثرها في النشاط العلمي في بلاد المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة لكنها كانت أقلّ شأناً من المدن الثلاث (أبو عريش)، و(ضمد)، و(صبيا) من حيث الشهرة والمكانة والتأثير في الحركة العلمية خلال هذه العصور الإسلامية، وهي ما سنتطرقُ اليها بالتفصيل فيما يلي:

مدينة أبو عريش:

تذهبُ بعض المدونات المحلية إلى أنّ اختطاط مدينة أبي عريش الحالية كان على يد أحد مشايخ بني الحكمي من الصوفية وأنَّ ذلك كان في أواخر القرن السابع

---

(٣٩) وهو المسمى أيضاً: جوابات السيد ادريس بن محمد السليماني، مخطوط بمكتبة برنستون. أنظر ورقة ٢أ، كما وردت إشارة أخرى إلى هذا الاملاء في ورقة ٢ب.

(٤٠) وهي قرية من أعمال صبيا، وتقع الآن في مغارب وادي صبيا. العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ١٤٤.

(٤١) هو: محمد بن صديق بن موسى الديباجي، وكان مرجعاً في الفقه الشافعي في بلده، تولى القضاء في الحجرين وتوفي سنة ١٠٤٦هـ. انظر العقيق اليماني في حوادث ووفيات سنة ١٠٤٦هـ وقد أثنى عليهم النعمان بأن لهم الفتوى والقضاء لا ينقطع عن هذه الأسرة إلى زمنه (أواخر القرن الحادي عشر الهجري) انظر حوادث سنة ٩٤١هـ. على سبيل المثال من كتاب العقيق اليماني.

(٤٢) مصطفى الحموي، فوائد الإرتحال، ق٣، ورقة، ١٩١.

(٤٣) عُرف هذا المسمى في المخلاف السليماني وأطلقه المؤرخون المحليون على بعض المدن والقرى وسبقت الإشارة إلى ذلك ومنها على سبيل المثال هجرة أبو دنقور، وهجرة ضمد، وهجرة العالية في وادي بيش وغيرها.

الهجري، ويُوضح هذا الأديب المؤرخ أحمد بن محمد النمازي (توفي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري تقريباً) بقوله: "إعلم أنّ أول من اختطّ أبو عريش في موضعه الحالي هو أحد بني الحكمي المكنّى "أبا البهاء" وقيل (أبا شملة)، وكان رجلاً مشهوراً بالصلاح وله يدٌ في الطريقة، فبنى هناك عريشاً، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو عليه من الفضل والصلاح، فسُّمي موضع ذلك العريش بأبي عريش إلى هذا الزمان، وكان زمان اختطاطه في العقد التاسع أو العاشر من سنة سبع مائة من الهجرة"(٤٤).

لكن يظهر أنّ النمازي يعتمدُ على رواية شفهية تناقلها البعض، إذ لم يذكر مصدراً لهذه الرواية، ويؤكدُ هذا أنّ عاكشاً نقل – ربما - عن النمازي هذه الرواية، لكنّه أشار إلى أنّها مما شاع عند الناس فقال "وأبو عريش هذا أول من اختطّ بقعته مسكناً جد بني الحكمي كما هو الشائع، وكان جدهم رجلاً صالحاً له يد في الطريقة، فبنى عريشاً هناك، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو عليه من الفضل؛ فلذا يُسمّى "أبو عريش"، وزمن اختطاطه قديم أظنه في القرن السابع"(٤٥)، لكنّ أياً من النمازي أو عاكش أو غيرهما ممن نقل عنهما لم يصرّح بهذا الرجل الصالح من آل الحكمي الذي اختطّ المدينة.

والذي يغلبُ على ظنّي أنّه علي بن أبي بكر بن عثمان الحكمي. فقد ذكر أحمد بن أحمد الشرجي أنّه "جدّ الفقهاء بني الحكمي أصحاب أبي عريش القرية المعروفة

---

(٤٤) النمازي، أحمد بن محمد، خلاصة السلاف، نسخة مصورة عن نسخة الجامع في صنعاء برقم ١٥٢ أخبار وأنساب، ورقة ٣٥، وعاكش في: عقود الدرر، ص٨١.

(٤٥) الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني، تحقيق إسماعيل البشري، دارة الملك عبدالعزيز، (الرياض، ١٤٢٤هـ)، ص ٦٥. ومن يتأمل قوله "مما شاع" سيستدلّ على أنّها مجرّد روايات شفهية متناقلة وشائعة لا تستند على نقل ثابت، ولا على مصدرٍ واضح. والله أعلم.

بقرب مدينة جازان"[٤٦]، وقد وصفه بصفة تتفق مع وصف المؤرخين المحليين للذي اختط المدينة فقال: "كان عابداً زاهداً ناسكاً مُكاشفاً عليه نور وهيبة"[٤٧]، لكنّه لم يذكر لنا تاريخ وفاته.

وبالتحقيق والمقاربة نجدُ أنّ علياً هذا عاش في حدود القرن السادس الهجري تقريباً وذلك بالنّظر إلى القرن الذي عاش فيه جدّ الفقيه عيسى بن مطير المتوفى سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) [٤٨]. وهو علي بن عثمان الحكمي، الذي كان أخاً لأبي حفص عمر بن عثمان الحكمي المعروف بزخم الدارين[٤٩].

وهو والد علي جدّ آل الحكمي أصحاب أبي عريش على ما سبق القول. ويؤكدُ هذا ما ورد عند النعمان في أكثر من موضع من كتابه أنه صاحب المقبرة التي تقع غربي أبي عريش، وكان أهل أبي عريش يدفنون موتاهم فيها[٥٠].

وعلى الرغم مما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون فالظاهر أنّ أبا عريش موجودة منذ زمنٍ متقدمٍ جداً، فقد وردت عند كثيرٍ من الجغرافيين والمؤرخين وإن كانت تردُ أحياناً بمسمى مختلف قليلاً عما ذكروه، إذ حُذفت منها كلمة (أبو)، وأحياناً تردُ بنفس المسمّى المعروف الآن ويدلّ على هذا جُملة من الأدلة الثابتة أُجملها في التالي:

---

(٤٦) طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط٢ (صنعاء،١٩٩٢م)، ص٢٣٨، وأكد هذا النعمان في ترجمة الشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي رحمه الله.

(٤٧) المصدر نفسه، والصفحة.

(٤٨) هو الفقيه العلامة عيسى بن مطير بن علي بن عثمان الحكمي، ارتحل من بلد قومه بني الحكم وهي قرية ضمد، إلى بلاد اليمن، استدعاه الملك المظفر الرسولي وعينه مدرساً في تعز.،انظر ترجمته الطويلة في طبقات الخواص، ص٢٥٤. وتحرّفت ضمد عند الجندي والخزرجي إلى حرض.

(٤٩) المصدر نفسه ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٥٠) على سبيل المثال ما ورد في حوادث سنة ٩٥٤هـ، ٩٦٢هـ وحوادث ووفيات سنة ١٠٢٦هـ خبر وفاة الشيخ الهادي بن علي المهدي بن الهادي بن أبي القاسم الحكمي.

أولاً: وردت الإشارة إليها ضمن محطات الحج اليمني عند ابن خُرداذبة (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)، والحربي (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م)، واليعقوبي (ت٢٩٠ه/٩٠٣م) والهمداني (ت بعد ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) وجاءت عباراتهم متقاربة عندما ذكروا محجّة أهل اليمن على الطريق التهامي، بلفظ "العُرش"[٥١]، وابن خرداذبة يحدّد مكانها الحالي بدقة حينما يذكرها في طريق الحاج النازل من خولان فيقول: "ومن خولان ذي سحيم إلى العُرش من جازان"[٥٢].

وعلى الرّغم من أنّ ياقوتاً قد أشار إليها بقوله: "والعُرش جمع عريش، وهي مظال تُسوى من جريد النخل، ويُطرح فوقها الثمام"[٥٣]، وعقّب بعد هذا الوصف بأنّها: " مدينة باليمن على الساحل"[٥٤].

فقوله بأنّها على الساحل وهمٌ منه، فهو ينقلُ عن غيره، ولم يرحل إلى بلاد اليمن عموماً، فالتبس عليه الأمر، ولو أخذنا - على سبيل الافتراض - بما يقول فإنّ (أبو عريش) تعدُّ قريبة من الساحل، ومن مدينة جازان البندر، ولا تبعد عنها

---

(٥١) انظر: المسالك والممالك لابن خرداذبة، ط بريل (ليدن، ١٨٨٩م) ص ١٤٨، وكتاب المناسك وأماكن طرق الحج، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة (الرياض ١٩٦٩) ص٦٤٧، وكتاب البلدان للعيقوبي (ط بريل، ليدن، ١٨٦٠م)، ص ١٠٤. وكتاب صفة جزيرة العرب، ص ٣٤٢.

(٥٢) المسالك والممالك، ص١٤٨.

(٥٣) يكاد ياقوت يُعبر بهذا الوصف عن جُلّ مساكن قرى ومدن المخلاف السليماني قديماً. وقد أشار إلى ذلك أيضاً ابن ناصر الدين في كتابه توضيح المشتبه (بيروت، ١٩٩٣م) ٢٤٠/٦، بقوله: "العروش جمع عريش وهي الخيمة تُنصب من خشب ويظلّل فوقه بثمام ونحوه، واحدها " عَرْش".

(٥٤) معجم البلدان، ١٠٠/٤. وقد اغتر بقول ياقوت هذا أحد الباحثين فذهب إلى أن العُرش مدينة بين جازان وعثر على الساحل، وأنها ليست هي العُرش المشهور. ومع هذا فلم يحدُّد لنا هذه العُرش الساحلية، وأين موقعها الآن على الساحل، أو أين أطلالها،وبقاياها كغيرها من مدن المخلاف القديمة والمندثرة الموجودة بقاياها إلى الآن. أنظر،فيصل طميحي، تحقيق موضع المخلاف السليمان والعُرش في منطقة جازان (الوهم والحقيقة)، نادي جازان الأدبي، ٢٠١٥م، ص ٣٢-٣٣.

كثيراً. يؤكدُ هذا قول ابن بهرام الدمشقي عنها "وأبو عريش قرية معمورة، ولها قلعة، ويسمون مرفأها جازان [٥٥]"..إلخ، ويدلّلُ على قربها من الساحل ومن جازان البندر عاكشٌ أيضاً[٥٦].

ثانياً: المتتبع لما ورد عند بعض المؤرخين القدامى في تراجم لبعض آل الحكمي، وآل الأسدي وغيرهم من الأسر العلمية التي تسكن(أبو عريش)، إضافة إلى بعض الأحداث التاريخية في القرن السادس، وأوائل السابع الهجري سيلحظ أنّ كِلا المسميين مذكوران عندهم، ويردان بصيغ "العُريش"، و"أبو عريش". فاليافعي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) في ترجمة عبدالله بن علي الأسدي، وذريته من آل الأسدي[٥٧] يذكر أنّ "أكثرهم في موضع يُسمى العُريش بقرب جازان". وهو لم يعدُ الحقَّ فإنّ آل الأسدي كانوا من الأسر العلمية المشهورة في أبي عريش ويؤكدُ هذا الأهدل حينما يذكر أنَّ أكثر أحفاد عبدالله بن علي الأسدي انتقلوا من (المنارة) [٥٨] في القرن السابع الهجري – تقريباً – فسكنوا (أبو عريش) ويدهم في التصّوف لآل الحكمي[٥٩]. ويظهر أنّ هذين

(٥٥) انظر جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، ترجمه وعلق عليه مسعد الشامات، إصدار مركز حمد الجاسر الثقافي، (الرياض، ٢٠٠٧م)، ص ٨٧.

(٥٦) الديباج الخسرواني، ص ٦٦.

(٥٧) هو عبدالله بن علي الأسدي، أبو محمد، المعروف بالبلاع، أصله من قوم يُقال لهم آل خلاد بنواحي جازان، فخرج إلى قرية المنارة فسكنها وتزوج من أهلها وولد له بها أولاد كان أنجبهم محمد وهو جد الأسديين في جازان وأبي عريش. رحل إلى مكة فأخذ التصوف على الشيخ عبدالقادر الجيلاني، ومات في أواخر القرن السادس الهجري،الأهدل، تحفة الزمن ٢٨٤/١، ٤٦٦، الشرجي، طبقات الخواص ص ١٧٩ وما بعدها، الشلي، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، دراسة وتحقيق المزيني والقحطاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية،(الرياض ٢٠١٤م) ٦٩٩/٢.

(٥٨) المنارة: قرية قديمة مندثرة، وتأسس على دمنتها قرية الريان الحالية. العقيلي، المعجم الجغرافي، ص٤٠، و الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص٦٢ وما بعدها.

(٥٩) الأهدل، تحفة الزمن، ١٢/٢، ٢٨٤ وما بعدها.

الاسمين بقيا علَماً لهذه المدينة، فمنهم من يسميها بالعُريش، فتارة يخفف الياء (المعجمة)، وتارة يثقلها (مشددة) ومنهم ابن حجر العسقلاني على ما يحكيه أحمد النمازي، وعاكش، والعمودي حيث ذكروا أنّ ابن حجر رحمه الله قد مرّ بها في إحدى رحلاته إلى اليمن وسمّاها (العُريّش) على التصغير، وعقّب عليه عاكش بقوله: "وضبط - أي ابن حجر - عُريّش بالتصغير والتشديد، والمشهور أنه مكبّر مخفف"[٦٠].

ثالثاً: ومن المؤرخين من سمّاها باسمها الحالي (أبو عريش) منذ وقتٍ مبكّر، ومنهم يحيى بن الحسين في سياق حديثه عن زيارة الأمير الشريف المؤيد بن قاسم بن غانم السليماني[٦١] على الإمام عبدالله بن حمزة[٦٢] في سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م فيقول: "وفيها وفدَ إليه الأمير المؤيد السليماني صاحب (أبو عريش) في تسعين راكباً، وكان الأمير المذكور قد استولى على تلك الجهة بعد قتل المعز بن طغتكين[٦٣].." إلخ.

ويؤكد قول يحيى بن الحسين عاكش في الديباج، والعمودي في اللامع حيث يقولان "وأما أبو عريش وجازان وما والاهما من الجهات اليمنية، فالرؤساء فيه

---

(٦٠) الديباج الخسرواني، ص ٦٦، وخلاصة السلاف ورقة ٣٥، واللامع اليماني، ورقة ٥٢.

(٦١) أحد الأمراء والأشراف الذين حكموا المخلاف السليماني، وكانت له حروب ضد الأيوبيين حتى سقط صريعاً في احداها سنة ٦١٠هـ. أبو بكر العامري، غربال الزمان في وفيات الأعيان، تحقيق محمد ناجي العمر، (دمشق، ١٤٠٥هـ)، ص ٤٤٩، والعقيلي، محمد بن أحمد، تاريخ المخلاف السليماني، ٢١١/١.

(٦٢) هو الإمام عبدالله بن حمزة الحسني، أحد أئمة الزيدية في اليمن بويع بالإمامة في سنة ٥٨٣هـ، وخاض صراعاً متواصلاً مع عدد من الأطراف الداخلية، ومع الأيوبيين، مات سنة ٦١٤هـ، له العديد من المؤلفات عبدالسلام الوجيه، معجم المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد، (صنعاء، ١٩٩٩م)، ص ٥٧٨.

(٦٣) أنباء الزمن – مخطوط- نسخة معهد المخطوطات، ورقة ١٣٣، ١٣٤.

الغوانم" [٦٤]، ونعلم أنّ إمارة الغوانم انتهت مع قيام إمارة القطبيين على يد الأمير خالد بن قطب الدين في سنة ٨٠٣ه/١٤٠٠م تقريبا [٦٥].

وعلى هذا فيظهر أنّها على الرغم من وجودها القديم فقد بقيت ذات شهرة محدودة وإن لم تكن تخلو من النشاط العلمي، لوجود علماء وفقهاء بها، فالجندي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) يصفها بالقرية ويقول عنها: "ومن نواحي جازان قرية تُعرف بأبي عريش يُذكرُ أنّ فيها فقهاء جماعة أخيار لم أكد أتحقق منهم أحداً، إذا لم أتلقّف أخبار هذه الناحية إلا من أفواه المسافرين"[٦٦].

وبقيت كذلك في القرن التاسع الهجري، ذات أهمية ليست بالكبيرة لوجود مدينة جازان العليا التي كانت عاصمة الإقليم وقت ذاك، فالسخاوي

---

(٦٤) الديباج الخسرواني، ص٥٨، واللامع اليماني ورقة ٥٢، والغوانم هم أبناء غانم بن يحيى بن حمزة الذين عاش في صدر القرن السادس الهجري. ولعلّ مما يدلّ على تعدد أسماء أبي عريش التي عُرفت بها في العصور الوسيطة والمتأخرة منها أن الشاعر: الجراح بن شاجر الذروي (عاش في القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين). قد أطلق عليها مسمى "عريش بن عسكر" في قصيدته التي مدح بها الأمير: المهدي القطبي (ت ٩٢٤هـ):

ولله قوم من عريش بن عسكرٍ ومن معقل الأبطال أسد المقانب

والمتأمّل في أبيات هذه القصيدة التي ورد فيها البيت سيدرك أن المعنيّ هم أهل بلدة أبي عريش. (انظر الديوان، تحقيق، محمد محنبي (رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ)، ص١٠٥. ق٦. على الرّغم من أنّ الأهدل ذكر عريش بن عسكر لكنّه نسبها الى حرض فقال: وبالقرب من حرض قرية تُعرف بعريش بن عسكر، ونسب اليها بعض العلماء، تحفة الزمن،٤٢/٢. وبالرّجوع الى قرى مديرية حرض لم أجد بينها قرية، أو موضعاً بهذا الاسم. فلعلّ الأهدل وهم. أنظر تصنيف قرى مديرية حرض في:(https://ar.wikipedia.org/wiki).

(٦٥) أنظر ذلك عند النعمان في العقيق اليماني، ورقة ٢٥٢ أ من نسخة المؤلف،مكتبة الكبسي الخاصة. وفصّل أحوالها أحمد الزيلعي، الأوضاع السياسية، ص ١٥٧، وما بعدها.

(٦٦) السلوك في معرفة الملوك، تحقيق محمد الأكوع، دار الإرشاد (صنعاء، ١٩٩٣م)، ٣١٣/٢.

(ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) يُطلق عليها قرية. ففي ترجمة صديق بن موسى يقول عنه "الجازاني العريشي – نسبة لأبي عريش – قرية من جازان، ويذكر أنّه ولد بها"(٦٧).

ثم يُفهم من بقية كلامه أنّ بها مجموعة من العلماء والفقهاء، ونشاطاً علمياً خلال القرن التاسع الهجري. وعلى أية حال فإنّ القصدَ من هذا العرض المسهب في توثيق ما ورد عن أبي عريش منذ العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، هو لبيان قدم نشأة ووجود هذه المدينة حتى وإن وقع بعض الاختلاف البسيط في تسميتها. ولو افترضنا أن "أبو عريش" الحالية هي من اختطاط جدّ آل الحكمي كما يذهب بعض المؤرخين المحليين فالأمرُ لا يعدو كما يقول العقيلي أن تكون "العُرش قد تلاشى عمرانه فأحياه ذلك العالم الجليل من آل الحكمي، فكانت شهرته على ما أحياه"(٦٨). والله أعلم.

ومع تعرّض مدينة جازان العليا لغزو شريف مكة محمد بن بركات سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م، وما نزل بها من خراب نتيجة الحملة الشرسة التي قادها الشريف على أمير جازان حينذاك الأمير أحمد بن دريب بن خالد القطبي، وما انتهت إليه من هزيمة شنيعة للأمير أحمد بن دريب، وهدم سور المدينة وقلعتها، وإحراقها(٦٩).

---

(٦٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، (بيروت، د.ت)، ٣٢١/٤.

(٦٨) المعجم الجغرافي لمنطقة جازان، ص ٤٩. ومما تجدر الإشارة إليه أن جمعاً من المؤرخين المعاصرين قد ذهبوا إلى تأكيد أن العُرش القديم إنما هو "أبو عريش الحالية". ومنهم: محمد زارع عقيل في مقاله: تهامة في التاريخ، (مجلة المنهل، س٢١، مج١٧، ج ٧، ٨ (رجب وشعبان) ١٣٧٦هـ، ص ٤٠٠، والعقيلي في المعجم الجغرافي، ص ٨٢، وقبلهما أكد هذا العمودي في اللامع ورقة ٤١. وغيرهم.

(٦٩) انظر التفاصيل في: قلعة الثريا ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية، للباحث، مجلة العصور، مج١٧، جـ(١) لندن، ٢٠٠٧م، ص ١٠٨، وما بعدها.

فكان أن ظهرت مدينة أبو عريش وارتفع شأنها، وبرزت أهميتها بعد أن اتخذها الأمراء القطبيون عاصمة أخرى لهم وانتقل اليها الناس، يدلّ على هذا قول النعمان في وصفها في هذا الوقت" وكانت هذه المدينة في عصر ولاية السادة آل قطب الدين مدينة عظيمة، طيبة الثرى، صحيحة الهواء، عذبة الماء، كثيرة الخيرات"، ويؤكد هذه الأهمية والمكانة عاكش[٧٠].

وكان هذا من أسباب شهرتها بين مدن المخلاف وهِجَره العلمية، ناهيك عن كثرة العلماء بها، وتنوع النشاطات العلمية فيها، فأصبحت من ثمّ مقصد طلبة العلم من أهل المخلاف، ومن البلاد المجاورة، حتى غدت في أهميتها ومكانتها العلمية بعد مدينة زبيد في تهامة اليمن خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين على وجه الخصوص.

وزادت أهميتها عقب تلاشي مدينة جازان العليا[٧١] نتيجة الحملة الظالمة التي قادها في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م شريف مكة أبو نمي بن بركات (٩١٨هـ - ٩٧٤هـ) [٧٢] على الإمارة القطبية في المخلاف السليماني، وانتهت بهزيمة الأمير عامر بن يوسف

(٧٠) جوهر المغاص في معرفة الخواص، نسخة الكبسي الخاصة، صنعاء، ورقة ١٢٠، والديباج الخسرواني ص٦٦.

(٧١) كانت عاصمة المخلاف السليماني في العصور الوسيطة وخاصة في إمارتي الغوانم، والقطبين وهي الآن أطلال قامت على دمنتها قرية صغيرة تُعرف بـ (الجُدر) مفرد جدار ولعل الاسم مُشتق من كثرة الجدُر الحجرية من بقايا السور والقلعة، وتقع على بعد ٨كم إلى الشمال الشرقي من مدينة أبوعريش. انظر التفاصيل عند: محمد الحاوي، قلعة الثريا ودرب جازان، العليا في ضوء المصادر التاريخية، مجلة العصور، مج١٧، ج١ (لندن، ٢٠٠٧م)، ص ٩٦، وما بعدها.

(٧٢) محمد الحاوي، المرجع السابق، ص١٠٩، وما بعدها.

آخر أمراء هذه الإمارة وسقوط الإمارة القطبية[٧٣]، وهدم المدينة وقلعتها وحصونها وسورها، وطرد أهلها منها[٧٤]. فكان من نتيجة ذلك أن إنتقل أهلها وعلماؤها وقضاتها إلى مدينة أبي عريش الأمر الذي جعلها تصبحُ عاصمة إقليم وادي جازان كلّه، ومستقّر الولاة الذين حكموا الإقليم بعد ذلك من الجراكسة، والعثمانيين إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، ومن جاء بعدهم من الولاة في العقود التي تلت[٧٥] واستوطنوها، فكان ذلك من أهم العوامل في أن تتبوأ مكانة في العلم رفيعة، وتغدو هجرة من هجر العلم شهيرة ، يؤمها طلبة العلم، وينزل في سوحها العلماء والفقهاء. ناهيك عن أنّ وجودها على طريق الحج اليمني قد جعلها محطّ رحال بعض علماء اليمن والأقطار الإسلامية الذين يسلكون هذا الطريق أثناء سفرهم للحج عبر الموانىء ومحطات الحج اليمني كعدن وغيرها، وهو ما انعكس على النشاط العلمي بها من خلال ما كان يدور بين هؤلاء العلماء وعلماء المدينة العريشية وما جاورها من مدن العلم المخلافية من حوارات ومناظرات علمية[٧٦].

---

(٧٣) عامر بن يوسف العزيز بن أحمد بن دريب بن خالد قطب الدين، آخر الأمراء القطبيين الذين حكموا المخلاف السليماني تحت مسمى الإمارة القطبية، الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة، ص٢١٩.

(٧٤) كانت المدينة قد عادت إلى مجدها ومكانتها كعاصمة، ونقضت عنها نتائج غزو أشراف مكة في سنة ٨٨٢هـ كما تقدم، انظر: محمد الحاوي، المرجع السابق، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٧٥) منذ عهد الأمير عامر بن يوسف العزيز اشتهرت أبو عريش نتيجة ازدهارها، واتساع عمرانها، واتخاذها مقراً ثانياً للإمارة القطبية بعد جازان العليا، لاتساع أرضها وانبساطها وازدهارها إقتصادياً، العقيلي، المخلاف السليماني، مؤسسة اليمامة للنشر، (الرياض، ١٩٥٨م)، ٢٨٩/١. والزيلعي، الأوضاع السياسية، ص٢٢٠.

(٧٦) ابن أبي الرجال في مطلع البدور ٢٥٨/٤، وانظر أيضا الوافي بوفيات الأعيان لعبدالله النعمان ورقة رقم ٧٨، وفصّلتُ هذا الجانب في:الحياة العلمية في العصور الإسلامية الوسيطة، ص ١٢٧، وما بعدها.

وكان لمدرسة الفقهاء والصوفية من آل الحكمي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين الأثر الأكبر في نشاط أبي عريش العلمي، كما كان لمدرسة آل الأسدي(٧٧) في علم القراءات تخصيصاً أثره الواضح في أن تضحى أبو عريش خلال القرنين السابقين مقصد طلاب هذا الفنّ وغيره من فنون العلم من داخل بلاد المخلاف السليماني، ومن بلاد اليمن المجاورة، وذلك لما نالته حلقات العلم في جوامع ومساجد أبو عريش من ذيوع وشهرة، ولجهود العلماء المتمكنين في فنون العلم من علمائها المعروفين من آل الحكمي، وآل الأسدي، وآل الديباجي وغيرهم الذين اشتهروا بتدريس العلوم الشرعية وعلوم العربية وغيرها(٧٨).

فمن المساجد والجوامع التي أسهمت حلقات العلم بها في النشاط العلمي في أبي عريش وتجاوز تأثيرها إلى بلدان أخرى، على سبيل المثال: الجامع الكبير الذي أسّسه الفقيه صديق بن علي بن أبي بكر الحكمي (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) (٧٩)، وقد أشار النّعمان إلى أنّ هذا الجامع كان منارةً من منارات العلم في أبي عريش، فقد كانت تُعقد فيه حلقات العلم في جميع الفنون.

---

(٧٧) من الأسر العلمية المشهورة في أبي عريش والمخلاف السليماني، تولى أفرادها القضاة في أبي عريش وجازان العليا، واهتموا بعلم القراءات ونبغوا فيه حتى أصبحت مدرستهم في القراءات من أهم الأسباب لهجرة طلبة العلم إلى أبي عريش. وردت إشارات كثيرة في كتاب العقيق اليماني للنعمان الضمدي. انظر على سبيل المثال ورقة ١٠٧ من نسخة الكبسي، والشلي، عقود الدرر،٢/٦٩٩.

(٧٨) ممن قصد حلق العلم في أبي عريش خلال هذين القرنين من بلاد اليمن المجاورة لتلقي العلم على سبيل المثال: محمد بن الطاهر بن زيد الصعدي فتعلم القراءات حتى أنفقها على شيوخها، والفقيه أسعد بن محفوظ من جبل رازح، وتلقى العلم على الفقيه العلامة عمر بن عبدالقادر الحكمي في فنون من العلم، وغيرهما. انظر على سبيل لمثال: العقيق اليماني للنعمان الضمدي، حوادث ووفيات سنة ٩٨٦هـ، وسنة ١٠٠٠هـ، وغيرها. والشلي، عقود الدرر،٢/٥٨٦.

(٧٩) انظر حوادث ووفيات سنة ٨٧٣هـ من العقيق اليماني.

ومن أشهر من عُني بتدريس القرآن العظيم وعلومه الشيخ علي بن محمد المعلّم وكان قائماً على حلقات التحفيظ فيه، وعلم القراءات طيلة (٤٠) سنة، والفقيه عمر بن عقيل، وغيرهما.

وممن تصدّر كذلك للتدريس فيه أيضاً في علومٍ شتّى القاضي الفقيه العلامة سراج الدين عمر بن المساوي بن أبي بكر الأسدي، فقد ذكر النعمان أنّه كان رئيس المدرسين فيه، وكان إليه تدريس الفقه، والعقيدة، وغيرها[٨٠].

وكانت هناك مساجد أخرى في مدينة أبي عريش وتوابعها كمسجد المحفدي، ومسجد العقدة، وغيرها. وممّن اشتُهر بالتدريس فيها الفقيه محمد بن المحبوب الوليدي وغيره، وكانت الدروس في علوم الشريعة كالفقه، والفرائض، والعقيدة. كما كانت للفقيه الوليدي دروسٌ في علم الحساب أيضاً.

وكانت الحلق في هذه الجوامع والمساجد مُقسمة على العلوم والفنون، فمن كان بارعاً في علوم الشريعة كانت له حلقته ومنهم على سبيل المثال أحمد بن أبي الفتح الحكمي الذي بلغ مرتبة الرئاسة وتصدر الحلقات في تدريس علوم الشريعة، والفقيه عيسى بن يوسف الطفاري الذي كان يعقد حلقات العلم في مسجد الصدر أبو القاسم بن العباس[٨١]، في عددٍ من العلوم والفنون، ومثله العلامة صّديق بن الطاهر الحكمي، وفي القراءات كانت حلقات الفقيه المقرئ عثمان الأقرع مقصد الطلبة، وكان يدرّس الشاطبية، والجزرية، وغيرها. وفي العربية تصّدر الحلقات الفقيه محمد بن عبدالقادر المحلوي وكان بارعاً في علوم العربية ومنصرفاً للتدريس صبحاً وعشاءً كما

(٨٠) حوادث ووفيات السنوات ٩٥٦، ٩٦١هـ على سبيل المثال.

(٨١) آل الحكمي من الأسر العلمية الشهرية، والذين كان لهم الأثر الأبرز على الحياة العلمية في أبي عريش خاصة، والمخلاف السليماني عامة،العقيلي، مجلة العرب، مج٦، (رجب، جمادى الآخرة، ١٣٩١هـ – ١٣٩٢هـ)، ص ٧٧٥ وما بعدها.

يقول النعمان[٨٢]، والدّهل بن أبي الفتح الحكمي وكانت دروسه في جامع أبي عريش وغيره، والشيخ العلامة المقبول بن صديق بن الدهل الحكمي وكان يدرّس في علم المعاني، والبيان والبديع وغيرها[٨٣].

وفي علم القراءات كان يتصدّر الحلقات كبار العلماء في هذا الفنّ ومنهم على سبيل المثال محمد بن صديق الخرّاز الأسدي، فقد ذكر النّعمان أنّه كان مقصد الطلبة في أبي عريش وتوابعها، وسائر بلاد المخلاف وبلغ من الشهرة في هذا الفن، أن لقّبه النعمان بكبير القرّاء.

ناهيك عن الدروس في فنون أخرى اشتهر بها علماء أبي عريش خاصة وعلماء المدن الأخرى في المخلاف السليماني عامة، ومنها الفرائض والحساب وعلوم الميقات، والتصوف وغيرها[٨٤]. وهو ما جعل هذه المدينة من مدن العلم المشهورة في بلاد المخلاف السليماني في هذا العصر، وحاضرةً من حواضره في بلاد الجزيرة العربية عامة[٨٥].

---

(٨٢) على سبيل المثال حوادث ووفيات ٩٥١. وله فضل على كثير من طلبة العلم بالمخلاف. العقيق اليماني جواد ووفيات سنة ٩٥٦هـ. انظر الشلي، عقد الجواهر والدرر، ٥٨٧/٢.

(٨٣) ذكر ذلك في ترجمته، وكانت له دروس في أبي عريش، وعقب انتقاله إلى صبيا اشتغل بالتدريس حتى وفاته رحمه الله. انظر حوادث ووفيات ١٠٠٠هـ، ١٠٢٥هـ، على سبيل المثال.

(٨٤) حوادث ووفيات ١٠٠٢هـ، وفاة العلامة أبو عمر عبدالقادر بن محمد بن صديق الحكمي، وحوادث ١٠١٠هـ ترجمة العلامة صديق بن علي الحكمي، وغيرها.

(٨٥) ومما يدل على كثرة مساجدها وجوامعها وأثرها على الحياة العلمية قول فيلبي عنها: "ومدينة أبي عريش كانت في الأيام الخوالي مدينة متسعة ومزدهرة وأن بها مساجد كثيرة حتى قيل إن عدد المساجد بها وصل إلى (١٠٦) مسجدا". انظر: مرتفعات الجزيرة العربية، مكتبة العبيكان، ١٠٨٢/٢.

مدينة ضمد:

وهي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية والمكانة، فقد ردت الإشارةُ إلى مسمّى "ضمد" في بعض نقوش المسند ضمن نصٍّ يتحدث عن غزوة لجيشٍ خرج من اليمن في عهد دولة سبأ وقصدها لمحاربة أهلها(٨٦). وهذه الإشارة تدلّ على قدم المسمى، وحتى لو افترضنا أنّ المقصود في هذا النص هو الوادي (ضمد) (٨٧)، إلا أنّه لا يبعدُ أن تكون هناك بلدة بهذا الاسم تقع على الوادي خاصة وقد ورد هذا المسمى أيضاً في خبر منسوب إلى النبي ﷺ حينما سأله أعرابي عن البداوة فقال عليه السلام: " إتّق الله ولا يضرك أن تكون بجانب الضمد من جازان(٨٨)". كما ورد عند الهمداني الإشارة إلى هجرة ضمد على أنّها قريةً معروفةً على وادي ضمد فقال: " ثم الهجر قرية ضمد"(٨٩).

---

(٨٦) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٥م)، ص ١٤١-١٤٢. والسروري، الحياة العسكرية في دولة سبأ، وزارة الثقافة والإعلام، (صنعاء، ١٤٢٥هـ) ص ١٣٣-١٣٤، وحاشية الأكوع على تاريخ عمارة الحكمي، المفيد في تاريخ زبيد، ص١٠٤، مطهر الأرياني، مقاطعة جازان في نقوش المسند، مجلة الإكليل، ع١،س٢ (صنعاء، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٢٥.

(٨٧) والوادي أيضاً مشهور وعلى ضفتيه عدد من القرى إحداها هجرة ضمد القديمة يؤكد هذا وصف الزبيدي له بأنه: "واد متسع مخصب كثير القرى والعمارات قريب من جازان ونسب إليه جماعة من أهل العلم". تاج العروس في نوادر القاموس، تحقيق عبدالعزيز مطر، (الكويت، ١٤١٦هـ/١٩٩١م) ٢١٥/٨. والقبي، الجواهر اللطاف ورقة ٥١.

(٨٨) وعند الزبيدي في تاج العروس".. ولا يضرك أن تكون بجانب ضمد، ج٨، مادة ضمد، وقد ورد عند ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ٩٩/٣، وشرح هذا الحديث أيضاً أحمد بن حسن عاكش في رسالته: منحة الصمد في الميسور من حديث ضمد، نادي جازان الأدبي، ١٤٢٠هـ.

(٨٩) صفة جزيرة العرب، ص ٧٦. وعلق المحقق محمد الأكوع على هذا بأنها في لغة حمير تعني القرية الكبيرة (حاشية ٢). والحقيقة أنّ هذا المسمّى يرد عند عماد الدين بن الأنف في كتابه عيون الأخبار، وأنّها قرية من الساعد، وبها تجمّع بعض الخارجين على المكرم بن علي الصليحي الرّفضين لسلطته في سنة ٤٦٠هـ، وأنّه قد تحرك اليهم من الساعد فنزل بها يوماثم عاد الى الساعد بعد أن استخلف فيها بعض قواده في جماعة من الحجاز والمغرب.ثم غادر الى زبيد. أنظر: ١٤١/١ مثلا. فلعلّها ضمد الواردة آنفاً عند الهمداني. والأمر يحتاج الى زيادة تحقيق.

ومما يدلّ على أنَّ قرية ضمد كانت موجودةً منذ زمنٍ قديمٍ كذلك أنّ ياقوتاً ذكرها في معجمه، وأنّها قرية من قرى عثر من جهة الجبل"[٩٠]. وتحديده هذا دقيق في موضع ضمد ضمن إقليم عثّر المعروف.

وبقيت معروفة خلال العصور الإسلامية الوسيطة، ينتسبُ إليها العديدُ من العلماء والأسر العلمية، وترُد الإشارة إليها في المصادر اليمنية بلفظ قرية ضمد، فقد ذكرها بهذا الاسم الشرجي في ترجمة الفقيه العلامة عيسى بن مطير بن علي بن عثمان الحكمي (ت ٦٨٠ه/ ١٢٨١م) وهو جدّ الأسرة العلمية المعروفة ببني مطير فيقول: "وأصله من الحكمي القبيلة المعروفة، وكان أبوه مطير من أعيانهم، خرج عيسى هذا من بلد قومه وهي قرية ضمد - بفتح الضاد المعجمة، والميم والدال المهملة - قريبة من مدينة جازان"[٩١].

كما بقيت تُعرف بمسمى "هجرة ضمد" كلما ورد ذكرها في المصادر عند الترجمة لأحد العلماء أو الأعلام فحينما ترجم النعمان للقاضي محمد بن إبراهيم النعمان (ت ٨٨٠ه/ ١٤٧٥م) قال: "ودفن في أعلى مسجد الفقيه حسن بهجرة ضمد"[٩٢].

ويظهر أنّ ضمداً القديمة المنوّه عنها فيما سبق قد حملت إسماً آخر عُرفت به محلياً فقط وهو "نجران"[٩٣].

---

(٩٠) معجم البلدان، (٣/٤٦٢-٤٦٣).

(٩١) الشرجي، أحمد، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ص٥٤، وجازان هنا هي مدينة جازان العليا عاصمة الإقليم قديماً.

(٩٢) الوافي بوفيات الأعيان، نسخة معهد المخطوطات، ورقة ٦٤، ٦٨.

(٩٣) وردت الاشارة اليها في أكثر أبيات من ديوان شاعر المخلاف السليماني ابن هتيمل الضمدي نفس المسمى. أنظر على سبيل المثال: ١/٤٥٢، ٢/١٠٤٢، وغيرها. كما وردت الاشارة اليها بنفس الاسم عند ادريس السليماني في كتابه: أحكام الدور. وذكر أنّ بها قوماً من الأشراف، ورقة ٧٠أ.

ثم دثرت ربما نتيجة لعوامل طبيعية كالسيول وغيرها فانتقل ساكنوها إلى بقعة قريبة منها على نفس وادي ضمد، واستوطنوها وأطلقوا عليها نفس المسمى.

ويوضح المؤرخ عاكش الضمدي هذا الحدث بقوله: " وضمد القديمة كان بموضع مختارة التي بني فيها السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي[٩٤] قلعته، وهو الذي سماها مختارة، وكان فيما سلف يسمي نجران، وبه كان الأديب ابن هتيمل وغيره من أولئك العلماء القدماء"[٩٥].

ويذهبُ عاكش أيضاً في سياق نصّه السابق إلى أنّ مدينة ضمد الحالية – المعروفة – هي من عمارة الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) وأنّه أول من اختطها وعَمَرها[٩٦]، وأكد هذا العلامة محمد بن حيدر القبي[٩٧].

وكيف ما كان الحالُ فإنّ القديمةَ وتلك المعروفة الآن قد حملتا مسمّى "هجرة العلم"، وشهد بذلك الكثير من علماء اليمن والمخلاف، وتواتر عندهم هذا المسمّى كثيراً نظراً لأهميتها العلمية[٩٨]، وأثرها في النشاط العلمي بالمخلاف خلال العصور الوسيطة وما تلاها.

---

(٩٤) هو العلامة الحسن بن خالد بن عز الدين الحازمي، العالم الوزير المجاهد (١١٨٨هـ – ١٢٣٤هـ)، من أبرز شخصيات المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الهجري، وارتبط ذكره بالشريف حمود أبو مسمار الخيراتي أمير المخلاف في عصره. وترجم له طويلاً تلميذه عاكش في عقود الدرر، ص٢٥٤، وما بعدها.

(٩٥) عاكش، الديباج الخسرواني، ص ١٧٧، ١٧٨، وعقود الدرر، ص ٧٠٢.

(٩٦) الديباج الخسرواني، ص ١٧٧.

(٩٧) الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف، ورقة ٥٢.

(٩٨) نُسب إلى ضمد القديمة علماء في علم القراءات وغيرها من القرن السادس الهجري وما بعدها ومنهم أبو القاسم بن شبيب ووالده، والفقيه عفيف الدين عبدالله بن محمد بن الحجيب– لعله الخصيب– الضمدي وغيرهم. انظر السيرة المنصورية ١٨٠/٢، وتاريخ وصاب للوصابي، تحقيق: عبدالله الحبشي. مكتبة الإرشاد (صنعاء، ٢٠٠٦م) ص ٢٧٥.

فالبهكلي وصفها بأنّها "هجرة العلم قديماً وحديثاً"[٩٩]. وتابعهُ في ذلك القبّي فقال: "وهجرة ضمد هي الهجرة المشهورة بالعلم قديماً وحديثاً[١٠٠]" وكذلك سمّاها النعمان[١٠١]، والعمودي[١٠٢]، وغيرهم.

وعلى أي حال فقد اشتهرت ضمد كهجرةٍ ومدينةٍ من مدن العلم منذُ العصور الوسيطة، نتيجة وجود الأسر العلمية، وعلى رأسها آل النّعمان، التي خَرّجَت علماء اجلاّء منذُ القرن السادس الهجري وما بعده[١٠٣]، ناهيك عن علماءَ آخرين ينتسبون إلى أسرٍ علميةٍ أخرى، ويتضح ذلك من قول ابن أبي الرجال " فلّله بلدة ضمد كم حوت من كرامٍ وعُمد"، وقوله "وهذه الهجرة الضمدية عمرها الله بالتقوى، مطالع لشموس العلم والأدب، حتى اشتُهر أنّها لا تخلو من مجتهدٍ أو شاعر"[١٠٤]، ومن قول عاكش عنها: "وضمد رحلة الطلاب، ومجثل العلم والآداب"، وقول الزركلي كذلك: "وضمد كانت دار هجرة لطلاب العلم مقصودة من الآفاق، وقد أنجبت فحولاً من العلماء"[١٠٥].

(٩٩) نفح العود، ص ١٤٨، والجواهر اللطاف للقبي ورقة ٥١.

(١٠٠) الجواهر اللطاف، ورقة ١٣٩.

(١٠١) الوافي بوفيات الأعيان، ورقة ٦٨، على سبيل المثال.

(١٠٢) اللامع اليماني ورقة ٤٧.

(١٠٣) قال فيهم ابن أبي الرجال: بأنهم من مشاهير المخلاف السليماني، وعيون أهله، وأنهم بيت معمور بالعلوم، مطالع البدور، ٢٥٩/١.

(١٠٤) المصدر نفسه.

(١٠٥) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٧م) ٥٤٩/٢.

ولم تكن ضمد فقط مدينة للعلم بل كانت هناك قرية أخرى على وادي ضمد تُسمى الشقيري اختطها جدّ أسرة آل النعمان(١٠٦)، وأضحت هي ومدينة ضمد أبرز مدينتين خلال العصور الوسيطة والمتأخرة في النشاط العلمي، وتخرّج منها علماء أفذاذ، وأدباء وشعراء لهم مكانتهم تتَبّع أعدادهم العلامة الحسن بن عاكش الضمدي، فوجدهم ينوفون على مائة عالم حيث يقول: "وفي أهل هذا الوادي من العلماء عدد "واسع لا سيما قرية ضمد والشقيري، ففيهم العلماء النحارير، والأدباء المصاقعة، وقد تتبعتُ بحسب ما اطلعتُ عليه من علمائهم قديماً وحديثاً فأنافوا على مائة عالم، فيهم من اتصف بكمال التحقيق، وفيهم من اطلع على سائر العلوم تفسيراً وحديثاً وفقهاً، وكلاماً وأصولاً وعربية، وغير ذلك من سائر العلوم العقلية والنقلية وفيهم من صنف وتصانيفه موجودة"(١٠٧).

ومن المؤكد أنّه كان للجامع الكبير الذي بناه الفقيه محمد بن علي بن عمر الضمدي حينما أسّس المدينة دوره في الحياة العلمية، وأنَّ حلقات العلم كانت تُعقد به، ومع أنّ المعلومات في هذا الجانب شحيحة جداً فلا يبعد أن تكون بعض الحلقات العلمية يقوم عليها الفقيه ابن عمر نفسه(١٠٨)، وكذلك علماء آخرين من ضمد يتصدرون حلقات التدريس في هذا الجامع.

---

(١٠٦) عاكش: الديباج الخسرواني، ص ١٧٧، وهي هجرة من هجر العلم ذكر ذلك حينما نسب إليها القضاة من آل النعمان فقال: "القضاة بني النعمان بهجرتي ضمد والشقيري" ورقة ١٠ من شبك الذهب، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود.

(١٠٧) الديباج الخسرواني، ص ١٧٨.

(١٠٨) انظر: الفقيه العلامة محمد بن عمر الضمدي ت ٩٩٠هـ. دراسة تاريخية للباحث. منشور في مجلة الدرعية، ع٤٤، ٤٥، س١١، ذي الحجة ٢٠٠٩، ص ١٧٤، وما بعدها. وحجاب الحازمي، نبذة تاريخية، ص ٩٣.

ومن البديهي أنّه بقي يؤدي دوره العلمي حتى هدمه السَّيل. قال عاكش "وبنى - محمد بن علي بن عمر - فيها المساجد الحجر، وعمر جامعه القديم الذي اجتحفه السيل عام ١٢٠١ه" [١٠٩].

كما كان للمساجد الأخرى في ضمد، والشقيري دورها في بث العلم عبر ما يُقام فيها من حلق التدريس، وتحفيظ القرآن الكريم، وغيره.

وعلى أي حال فممّن صرّح النعمان بقيامهم بالتدريس في مساجدها، الفقيه العلامة محمد بن أحمد النعمان (ت ٩٩٩هـ/١٥٩١م) فقد ذكر المؤرخ عبدالله النعمان أنّه عكف في آخر عمره على ملازمة التدريس في ضمد"[١١٠]، وممن كانت له حلقة علمية في التدريس الفقيه أحمد بن علي النعمان، والفقيه أحمد بن عبده النعمان [١١١] ، ومن البديهي أنّ غيره من العلماء في مدينتي ضمد والشقيري من آل النعمان وغيرهم، قد أقاموا حلق العلم في مساجد هاتين المدينتين.

وقد برز عددٌ من علمائها في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وذاع صيتهم حتى تجاوز اليمن إلى غيرها واشتُهرت مؤلفاتهم ومنهم القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي (ت٩٩٠ه/١٥٨٢م)[١١٢] ، والفقيه العلامة مطهر بن علي النعمان الضمدي الذي كان غرّة في علماء المخلاف واليمن في عصره، وعلى الرّغم

(١٠٩) الديباج الخسرواني، ص ١٧٧. ومما يدل على أهمية هذا الجامع أن العلامة أحمد بن الحسن البهكلي رثاه بقصيدة حيما هدّمه السيل. عاكش، المصدر نفسه، ص١٧٨.

(١١٠) انظر: حوادث ووفيات سنة ٩٩٩هـ من كتاب العقيق اليماني و والورقة ٣٢٨ من نسخة نصيف.

(١١١) الحموي، فوائد الارتحال، ق٣، ورقة،٣٣٧.

(١١٢) كان فقيهاً علامة قاضياً، ومحط أنظار طلبة العلم في المخلاف وفي اليمن، وله رحلاته إلى مكة المكرمة. أنظر عنه بالتفصيل، الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي، للباحث، ص ١٤١ وما بعدها.

من أنه توفي وسنّه لم يتجاوز الأربعين إلاّ أنّ له المؤلفات المشهورة في التفسير، والعربية، والطب، وغيرها[١١٣].

ومنهم عبدالعزيز بن محمد النعمان وله مؤلفات وشروح وتخريجات في الحديث والفقه والعربية وغيرها[١١٤]. ومنهم المؤرخ القاضي عبدالله بن علي النعمان وله مؤلفات في التاريخ، وغيره[١١٥].

ونظراً لشُهرة علماء ضمد في هذين القرنين فإنّ الغالب – كما يقول عاكش – في المخلاف السليماني أن لا يكون الحاكم والمفتي والمدرّس إلاّ منهم[١١٦].

وقد ظلّت ضمد على أهميتها كمدينة علمية وهجرة من هجره إلى ما بعد القرن الثالث عشر الهجري[١١٧].

---

(١١٣) محمد الحاوي، علماء وأعلام المخلاف السليماني وتهامة الشامية في القرن الحادي عشر الهجري، ومن خلال مخطوطة فوائد الإرتحال للحموي، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، سلسلة دراسات علمية محكمة (٢)، (الرياض، ٢٠١٣م)، ص ١٤٩ وما بعدها.

(١١٤) المرجع نفسه، ص ١٠٤ وما بعدها.

(١١٥) لا يُعرف له ترجمة مفصلة ووفاته في سنة ١٠٧٨هـ، وله التاريخ المعروف بالعقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني، وجوهر المغاص في معرفة الخواص، انظر عنه دراسة علي الصميلي في مقدمة تحقيق لقسم من كتاب العقيق اليماني (٩٤٥-١٠٠٥هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، ابريل (٢٠٠١) ص ٤٤ وما بعدها. وللباحث دراسة موسعة عن الأسر العلمية في هاتين المدينتين أعان الله على إتمامها.

(١١٦) الديباج الخسرواني، ص ١٧٩.

(١١٧) حجاب الحازمي، نبذة تاريخية، ص ٢٢ وما بعدها.

مدينة صبيا:

على الرّغم من أنّ مسمى "صبيا" هو اسمُ علمٍ للوادي المشهور الذي ورد عند الهمداني، وذكر في الكلام عنه أنّ مساقطه من بوصان والعُرّ وأنافيه، وأنّه يسقي إلى جادة عثر[١١٨].

وكذلك بالنظر فيما أورده عمارة الحكمي الذي ينتسب إلى المخلاف السليماني، وعلى وجه الخصوص إلى بلدة[١١٩] قريبة من وادي صبيا، نجده أيضاً يذكر صبيا على أنّه فقط "وادٍ معشب مخصب مسبع"[١٢٠]، وورد أيضاً مسمى صبيا مقصورا على الوادي فقط عند شاعر المخلاف السليماني القاسم بن هتيمل (٧٠٢ه تقريبا/١٣٠٢م) وذلك في قوله من قصيدة يرثي بها الأمير القاسم بن علي الذروي[١٢١].

فقل لأثينةٍ وبني مقَنٍّ وثروانٍ، وقل لبني ذياب
وقل لبني سبأٍ وبني المُعافا ودُروة أنهرٍ لُبَّ اللباب
حميتم جانبي صبيا بحربٍ سحائبها مواطرُ كالسحاب[١٢٢]

---

(١١٨) صفة جزيرة العرب، ص ١٢٦.

(١١٩) هي بلدة الزرائب كما يقول عمارة، أو مرطان كما يذكر ابن خلكان في ترجمته لعمارة، وتقع على وادي وساع في موضع يُعرف بالعكوتين في الحزون شرقي صبيا نحو ١٨كم. المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص ١٠٨-١٠٩، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٠م). ٤٣٢/٣، والآثار التاريخية في منطقة جازان للعقيلي، ص٣١.

(١٢٠) عمارة الحكمي، النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية اعتنى بتصحيحه هرتويغ دوتنبرغ، (شالون، ١٨٩٧م)، ص ١٦.

(١٢١) أحد أعلام المخلاف السليماني، كان أميراً إقطاعياً ومركز حكمه في وادي صبيا في القرن السابع الهجري، تقريباً، وامتد حكمه حتى كاد أن يشمل جميع المخلاف السليماني، وهو ممدوح الشاعر القاسم بن هتيمل، مات مقتولاً. انظر: ابن أبي الرجال، مطلع البدور، ٩١/٤.

(١٢٢) ديوانه، ١١٩/١.

وعندما نتصفحُ بعض المؤلفات اليمنية في القرنين السادس والسابع الهجريين نجد أيضاً أنّ صبيا تردُ كمسمّى للوادي فقط، وما يقعُ على جانبيه من قرى، وليس صبيا المدينة أو القرية. ومنها على سبيل المثال ما ورد عند الثقفي في السيرة المنصورية، عندما ذكر الصراع الذي دار بين الأشراف الفليتيين ومن معهم من الأشراف بني علي أصحاب مخلاف بيش[١٢٣]، والأشراف الذرويين حكام وادي صبيا قال: "فنهضت بنو عليّ وقصدوهم إلى صبيا، فقتلوا منهم وخرّبوا قراهم"[١٢٤]. فهو أشار إلى الوادي وما عليه من قرى، ويؤكدُ هذا ما ورد في شعر العلامة الفقيه أبو القاسم بن الحسين بن شبيب[١٢٥] (ت ق٧)ه، في مقطوعته ومنها:

ثُـــم صـــبيا ثُـــمَّ وادي ضـــمدٍ كـــل طـــرفٍ في ربـــاه قـــد صـــدع
ثـــم جـــازان، وشـــطّي خلـــبٍ ورُبـــا تعشـــر فيهـــا لم يقـــع[١٢٦]

(١٢٣) بنو علي أو آل علي يقصد بهم الأشراف المنسوبون إلى الشريف علي بن إدريس بن جعفر بن نعمه – الكبرى- بن يوسف...إلخ وهم خمس عشائر: (آل النعمي، وبني فليتة، والمثام،والعمارين، والجعافرة) وكانوا يستوطنون مخلاف بيش ووساع من بلاد المخلاف السليماني. محمد بن حيدر القبي، الجواهر اللطاف المتوجه بها هامات الأشراف، مخطوط، ورقة ٣٩،على سبيل المثال.

(١٢٤) أبي فراس بن دعثم، السيرة المنصورية، تحقيق عبدالغني بن عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر (بيروت، ١٩٩٣م)، ١/٥٦-٥٧.

(١٢٥) هو الفقيه العلامة الشاعر، أبو القاسم بن الحسين بن شبيب الضمدي (ت ق٧) كان من علماء هجرة ضمد وعاش في أواخر القرن السادس وأوائل السابع. والتحق بالإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (٦١٤هـ) وكان في حاشيته الأدنين. أخباره متفرقة في أكثر من مصدر، ولا يُعرف تاريخ وفاته على وجه التحقيق، وإن كان من الثابت أن القرن السابع، دخل وهو على قيد الحياة، أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور ومجمع البحور، ٤/٧٢، وما بعدها.

(١٢٦) السيرة المنصورية، ١/٢٨٠، وهذه كلها أودية تقع في المخلاف السليماني. انظر المعجم الجغرافي، مقاطعة جازان، للعقيلي، ص ص ٨٧، ٩٥، ١٦٨، ٢٥١، ٢٦٥.

ومع هذا فلا نستطيع القطع بعدم وجود موضع أو قرية بمسمى صبيا على الوادي صبيا، ولعلّ لها اسماً محلياً آخر اشتهرت به في تلك الفترة في أوساط سكان المخلاف، ولكن لم تُعرف به خارج المخلاف، ومن ثمّ صعب على تلك المصادر معرفة الاسم الحقيقي لها فأطلقت عليه مسمى صبيا نسبة إلى الوادي المعروف والمشهور وقت ذاك(١٢٧).

ويعضدُ هذا ما ورد عند ياقوت الحموي عندما ذكر قرية بهذا المسمى فقال: "صبيا: من قرى عثر من ناحية اليمن"(١٢٨). وقبله ورد هذا الاسم عند الهمداني في سياقٍ لا يدلّ ظاهراً على أنَّ المقصود الوادي فقط، بل قد يُستشفّ من نصّه أنّها قرية حيث يقول "وفي بلد حكم قرى كثيرة، يقال لها المخارف، وصبيا ثم بيش.." (١٢٩).

على أنّ ظاهر قوله ربما يعني به موضعاً، أو هو يقصد الجهة والإقليم(١٣٠) والله اعلم. ومما يُرجّح أيضاً هذا الرأي أنّ المؤرخ أحمد بن محمد النمازي، يذكرُ أنّ صبيا القديمة المذكورة في المصادر السالفة - إنّما هي القرية المشهورة والمعروفة بـ(أبي

(١٢٧) عاكش، الديباج الخسرواني، ص ١٧٧.

(١٢٨) تصحف عنده إلى "عشر" انظر: معجم البلدان ٣٩٢/٣.

(١٢٩) صفة جزيرة العرب، ص ٧٦.

(١٣٠) ذلك لأنّ لفظ الجهة أي الإقليم أطلق على صبيا كما ورد عند الجندي (ت٧٣٢) في كتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك ٣١٢/٢، ويفهم هذا أيضاً من السياق الوارد عند الأهدل في تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ١٣/٢، ١٩.

ويُفهم هذا أيضاً من سياق كلام الأشرف الرسولي في وصف رحلة الملك المجاهد من اليمن عبر جازان، وصبيا وبيش إلى مكة المكرمة، فقد وردت الإشارة إليها دون ربطها بالوادي وعلى أنها ناحية أو موضع. والله أعلم. أنظر: فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفتن في أخبار من ملك اليمن، تحقيق علي حسن معيلي رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تونس، ٢٠٠٥م، ٦٧٢/١، ٦٧٨، وهناك من أطلق هذا المسمى على أنه لمخلاف، فذكره بمخلاف صبيا.الجرموزي، الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، تحقيق أمة الملك الثور، ٣٢١/١.

دنقور)[١٣١] فيقول عند الكلام على أول أمراء البيت الخواجي " وكان أولُ قائمٍ بالأمر من أولئك الأشراف الخواجيين بمدينة صبيا المسماة أبي دنقور"[١٣٢]. ويؤكدها في موضع آخر من كتابه بقوله: "وكانت مساكنهم – الخواجيون - قبل ذلك بأطراف الوادي من جهة الغرب في موضع يسمى أبو دنقور"[١٣٣]. ويؤيد العقيلي هذا الرأي بقوله عن أبي دنقور "وهو موضع بلدة صبيا سابقاً أما مدينة صبيا الموجودة الآن فقد اختُطت سنة ٩٥٨هـ"[١٣٤].

وكيف ما كان الأمر فإنّ صبيا القديمة (أبو دنقور) كانت هجرة من هجر العلم وشهدت نهضةً علمية، وبروز علماء أجلاء، كانوا على المذهب الشافعي، حيث يصفها أحمد النمازي بهجرة العلم فقال: "أبو دنقور المشهورة قديماً بهجر علماء الشافعية، وكان بها الكثير من الأئمة الأكابر، والعلماء النحارير من آل شافع [١٣٥]،

(١٣١) أبو دنقور: قرية قديمة مندثرة تقع غرب وادي صبيا على ضفة الوادي، ولا تزال آثارها ماثلة للعيان إلى وقتنا هذا، وينتشر على ترابها كسر الفخار وغيرها الأمر الذي يدل على أنها كانت عامرة وقت ذاك. وانظر العقيل، الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص١٥، والمعجم الجغرافي لمنطقة جازان، ص ٢٥.

(١٣٢) خلاصة السلاف، ورقة ١٧ بترقيمي، و القبي، الجواهر اللطاف، ورقة ١٨٨.

(١٣٣) المصدر نفسه، ورقة ٢٠ بترقيمي.

(١٣٤) الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص ١٥.

(١٣٥) يذهب البعض إلى أنّ آل شافع ينتسبون إلى الصحابي شافع بن السائب، جد الإمام الشافعي، بينما يرى زين رشيد الشافعي أنهم ينتسبون إلى الأشراف الحسنيين. انظر: الروض الزاهر، ط١/الرياض، ١٩٩٩م، ص ص ٣٦٣-٣٧٠. مع أنّ الأهدل يذكر أنّ علماء آل شافع هم مضريون. تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ١١/٢، والله أعلم.

وغيرهم ممن فاق في زمانهم على سائر أقرانهم من علماء الزيدية في الأصول والفروع وغيرها من المسائل الفقهية"[١٣٦].

وتُعدَّ أسرة آل شافع من أبرز الأسر العلمية في أبي دنقور أو صبيا وتوابعها فقد ذاعت شهرتها في العلم والقضاء منذ القرن السابع الهجري. واستمرت حتى بعد القرن الحادي عشر الهجري، يتصدرون في مجالس العلم والافتاء والقضاء، يدلُّ على ذلك قول البهكلي عنهم " وهم سكنة قرية أبي دنقور المشهورة غرب صبيا وهي من القرى المشهور أهلها بالعلم والصلاح والتقوى، وفيها الكثير من الأئمة الصالحين، والعلماء المحققين من آل شافع نسباً ومذهباً"[١٣٧].

وأكد هذا العمودي في حديثه عن أمراء صبيا الخواجيين بقوله: " وكانت مساكنهم بالموضع المسمى أبي دنقور بجهة الساحل من صبيا، وفيه القضاة المشهورون بآل شافع"[١٣٨].

ومما يدلّ على شهرة أبي دنقور – صبيا القديمة - العلمية في العصور الوسيطة والمتأخرة، وأنها أحد مراكز المذهب الشافعي في المخلاف السليماني، وعلى أنّ علمائها كانوا ينافحون عن مذهبهم ويخوضون المناظرات شعراً ونثراً في مواجهة المذاهب الأخرى في المخلاف واليمن. ذلك السجال العملي الذي دار بين علماء أبي دنقور، وجازان العليا الشوافع، وبين بعض علماء الزيدية في بعض القضايا الفقهية

(١٣٦) من أوائلهم أبو الحسن علي شافع فقيه عابد عاش في القرن السابع الهجري، الجندي، السلوك، ٣١٣/٢، والملك الأفضل العباس الرسولي، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية. تحقيق عبدالواحد الخامري، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص٤٧٨.

(١٣٧) عبدالرحمن البهكلي – منسوب – السلاف في تاريخ صبيا والمخلاف، ورقم ٣ بترقيمي.

(١٣٨) اللامع اليماني، ورقة ٤٥.

الخلافية، حيث وردت في إحدى قصائد السجال الإشارة إلى أبي دنقور وعلمائه ومنها قوله:

أجـــاب علـــى مقالتنـــا القويـــة بتحـــريم الزيـــادة في النســـية
أنـــاسٌ حـــاولوا نيـــل الثريـــا وطمـــس شمـــوس مـــذهبنا المضـــيّة
فمـــن (جـــازان) جـــاء إلـــيّ نظـــمٌ ونظـــمٌ مـــن زبيـــد الشـــافعية
ونثـــرٌ مـــن (أبـــي دنقـــور) وافـــى لنثـــر ســـلوك مـــذهبنا البهيـــة
...إلخ[١٣٩].

وعلى أية حال فقد بقيت مشهورة إلى منتصف القرن العاشر تقريباً وأمراؤها من الخواجيين، وقُضاتها وأهل العلم منها من آل شافع[١٤٠]، وعقب معركتي "حنتر، والمحجاة[١٤١]" رأى الخواجيون أنَّ أبا دنقور لا تصلح لكي تكون مركزاً حربياً ذلك لأنهّا لم تكن تتمتع بمقومات الدفاع، وتفتقد إلى التحصين، ناهيك عن أنّها كانت

(١٣٩) انظر هذا السجال العلمي المنظوم عند ابن أبي الرجال، مطلع البدور، ٤/٢١٠-٢١٦.

(١٤٠) صالح بن صديق النمازي، النور اللائح في مشايخ صالح، تحقيق محمد بن منصور الحاوي،(مقبول للنشر في دارة الملك عبدالعزيز، الرياض)، ص١١٨.

(١٤١) وهما معركتان شهيرتان في تاريخ صبيا خاصة والمخلاف السليماني عامة سُميت على اسم قريتين من قرى وادي صبيا خاضها أهل صبيا بقيادة الخواجيين، وجمع ممن التحقت بهم من مخلاف صبيا وبيش وغيرها وجرت في سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م ضد العثمانيين وانتهتا بنصر مؤزر لأهل صبيا وقبائل المخلاف السليماني، وعلى ضوئها لم يستطع العثمانيون الذين استقروا في أبي عريش، وحكموا المخلاف فترة طويلة من دخول مدينة صبيا أو ضمها إلى حكمهم. انظر التفاصيل عن هاتين المعركتين وملابساتهما ونتائجها في: العقيق اليماني، لعبدالله النعمان، حوادث سنة ٩٥٥هـ، والبرق اليماني في الفتح العثماني، قطب الدين النهروالي، منشورات المدينة ط٢ (بيروت، ١٩٨٦م)، ص ١٠٣، وعلي الصميلي، العلاقات بين أسر وقبائل المخلاف السليماني وولاته العثمانيين في العصر العثماني الأول في جنوب وجنوب غرب الجزيرة العربية (٩٤٥-١٠٤٦هـ/١٥٣٨-١٦٣٥م) بحث منشور في سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، الدوحة، قطر، ٢٠٠٤م، ص ص ٣٧٨ وما بعدها.

مهددةً باجتياح سيول وادي صبيا إذ كانت تقع على ضفته، فخرجوا عنها شرقاً واختطّوا مدينة صبيا الحالية والمعروفة إلى الآن. قال النعمان موضحاً هذا، ورابطاً بين تأسيس صبيا الحالية، والخروج من أبي دنقور، ونتائج تلك المعركتين بقوله: "وهي مدينة حديثة العهد أسسها الأشراف الخواجيون بعد فتن المحجاة وحنتر، والحروب الحاصلة بينهم وبين الأتراك، وكان الأشراف في أيام هذه الفتنة (سنة ٩٥٥هـ) يسكنون مغارب وادي صبيا" - يقصد (أبو دنقور) - [١٤٢].

وكعادة المصادر المحلية في ربط ظهور ونشأة المدن المشهورة في المخلاف بأسماء أشخاصٍ من ذوي الشهرة السياسية أو العلمية وأنهم كانوا سبباً في اختطاطها، فإنها تُجمع على أنّ مدينة صبيا الحالية ظهرت للوجود على يد الأمير دريب بن مهارش الخواجي[١٤٣] أحد أمراء الخواجيين، وأنّه قد اختطّها في سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م[١٤٤].

قال أحمد النمازي "وأول من اختطّ مدينة صبيا الحالية هو الشريف الهمام صاحب المعالي والفضل المقدام دريب بن مهارش بن حسين الخواجي، وكان إختطاطه لها في سنة ٩٥٨ه، في أيام قيامه بالأمر بعد عمه الشريف عيسى بن حسين الخواجي، وكانت مساكنهم قبل ذلك بأطراف الوادي من جهة الغرب في موضع يسمى أبو دنقور"[١٤٥].

---

(١٤٢) جوهر المغاص في معرفة الخواص، نسخة مصورة عن نسخة الكبيسي الخاصة في صنعاء، ورقة ١٢١.

(١٤٣) هو: الأمير الجليل دريب بن مهارش بن حسين بن عيسى بن أبي القاسم الخواجي توفي سنة ٩٦٤هـ العقيق اليماني، حوادث سنة ٩٦٤هـ.

(١٤٤) انظر على سبيل المثال خلاصة السلاف للنمازي، ورقة ١٩، والديباج الخسرواني لعاكش، ص٥٦.

(١٤٥) خلاصة السلاف، ورقة ١٩ بترقيمي.

وكيف ما كان الحال فإنّ المدينة الجديدة قد عمرت في أسرع وقت -كما يقول النعمان[١٤٦] - وسكنها الناس، ورحل إليها التجار، والحرفيون فازدهرت حتى ضُرب بها المثل في كثرة المتاجر والمصالح والأموال، وانتقل إليها الناس من كل فج[١٤٧]. كما وصفها أيضاً بأنّها أضحت "مدينةً عامرة حسنة بها أسواق، ومزارع كثيرة ومخاليف كثيرة - كذا - ومياه فائضة.."[١٤٨]. ويظهر أنها نتيجة لشهرتها، ولبعدها عن سلطة العثمانيين الذين يبسطون حينها سيطرتهم على أبي عريش وجميع مدن وقرى وادي جازان، وكانت تلك البلاد تأنّ من سوء سياستهم، وقسوة تعاملهم مع السكان، وفرض الضرائب الجائرة عليهم، قد حَدَتْ بكثيرٍ من العلماء، والتجار والحرفيين وغيرهم، ودفعتهم إلى الرحلة إلى هذه المدينة الجديدة، فانتعشت لذلك وظهرت وبرزت كأشهر مدينة وقت ذاك، الأمر الذي أدّى إلى ضعف حال مدينة أبي عريش التي كانت وقتها عاصمة المخلاف.

يؤكد هذا أنّ النعمان بعد وصفه لأبي عريش بأنّها كانت مدينةً عظيمة طيبة كثيرة الخيرات...إلخ[١٤٩]. قال: "فلما ظهرت صبيا ضعفت – أي أبي عريش – وهي الآن – عصر المؤلف ق١١ - مدينة لطيفة حسنة"[١٥٠].

ويُشير النعمان إلى أنّ هذه الأحوال قد بقيت هي الظاهرة حتى زالت أيدي العثمانيين سنة ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م عن أبي عريش ووادي جازان كليا، فيقول في

---

(١٤٦) العقيق اليماني حوادث سنة ٩٥٨هـ.

(١٤٧) عبدالله النعمان، جوهر المغاص في معرفة الخواص، ورقة ١٢١.

(١٤٨) المصدر نفسه، ورقة ١٢٠ب.

(١٤٩) المصدر نفسه ورقة ١٢١ب..

(١٥٠) المصدر نفسه، والورقة.

حوادث سنة ٩٦٨هـ موضحاً ذلك بأنّه "لم تزل صبيا من يومئذ في عمارة وزيادة، وجازان في خراب وانتقاص إلى أن زالت أيادي العثامنة أقمأهم الله"[١٥١].

بل إنّ ظهور مدينة صبيا كان من أسباب انحسار أهمية مدنٍ وقرى في المخلاف السليماني كانت ذات شهرة ومكانة، وآل الأمر بها – مع عوامل وأسبابٍ أخرى – إلى أن فقدت هذه الأهمية، وفارقها سكانها، فدثرت، واختفت، ولفّها النسيان، وغابت في دهاليز التاريخ، ولم يعد لها ذكرٌ إلّا ما تضمنته بعض المصادر من نتف هنا وهناك. ويستشف هذا من قول النعمان في سياق حديثه عن أهمية صبيا وشهرتها، والإشارة إلى مدن وقرى كان لها مكانة كبيرة في تهامة قبل ظهور صبيا مثل مدينة المصبرا[١٥٢]، والعالية[١٥٣] والخميمية[١٥٤]، قال: " فلما ظهرت مدينة صبيا مضت المدائن المذكورة، وتلاشت، وخربت، ولم يبق بها أنيس[١٥٥]".

---

(١٥١) العقيق اليماني، تحقيق علي الصميلي، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ١٧٥-١٧٦. وخلاصة السلاف للنمازي، ورقة ١٨ بترقيمي.

(١٥٢) المصبرا: مدينة قديمة كانت تقع في مخلاف الساعه شمالي حرض، وورد أول ذكر لها عند ابن سمرة الجعدي في ترجمة للقاضي علي بن حسين التستري البشري سنة ٥٧٩هـ. وورد ذكرها أيضاً عن الجندي في كتابه السلوك، والشرجي في طبقات الخواص، والعقيق اليماني وغيرها. وذهب البعض إلى أن مكانها معروف الآن شرق مدينة ميدي. وقد اندثرت منذ أواخر القرن العاشر الهجري. ويغلب على الظن أنّ مدينة سامطة في جنوبي منطقة جازان حالياً قد قامت على دمنتها. والله أعلم. انظر على سبيل المثال: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، (بيروت، د.ت) ص ٢٤٢، وطبقات الخواص للشرجي، ص١١٤، وقد دثرت عقب مفارقة سكانها لها بعد سنة ٩٦٢ حينما غزاهم العثمانيون فقتلوا في أهلها قتلاً ذريعاً حتى قتلوا من كان في المسجد. العقيق اليماني، حوادث سنة ٩٦٢هـ.

(١٥٣) العالية: مدينة مندثرة في وادي خلب جنوب أحد المسارحة، العقيلي، المعجم الجغرافي، ص٣١٩.

(١٥٤) الخميمية: سبق التعريف بها.

(١٥٥) جوهر المغاص، ورقة ١٢١ب.

وعلى كلّ فقد برزت صبيا، وأضحت منذ تأسيسها محط رحال التجار، والعلماء وغيرهم، وخاصة في عهد بعض أمرائها الذين اتسم عهدهم بالعدل، ورفع الجور، والأمان، الأمر الذي أدّى إلى شهرتها، وعلو مكانتها في المخلاف خاصة، وتهامة عامة، ومنهم الأمير دريب بن عيسى بن حسين الخواجي[١٥٦]، الذي خلَف دريب بن مهارش عقب وفاته سنة ٩٦٤هـ. فقد ذكر النعمان أنه في حكم هذا الأمير "عمرت صبيا وانتقل الناس إليها من كل فج عميق، وكان من وصلها لا يناله جورٌ ولا اعتساف آمناً مما يخاف.."[١٥٧].

وقد أدّى هذا الإستقرار والرخاء الذي تمتعت به مدينة صبيا خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين على وجه الخصوص إلى استقطاب الكثير من العلماء سواء من مخلاف صبيا أو من أبي عريش وقرى وادي جازان، فقصدها العلماء وأقاموا حلقات العلم في مساجدها، حتى أصبحت إحدى أشهر مدن العلم وهجره في المخلاف السليماني[١٥٨]، ومنهم على سبيل المثال محمد بن عيسى الظفاري، ومحمد بن عبدالقادر المحلوي، وابنه اسماعيل المحلوي، ومحمد بن الصديق بن أبي الفتح الحكمي، عدا عن جملةٍ من علماء إقليم صبيا ومنهم الفقيه العلامة يعقوب النمازي، والقاضي العلامة الأمين بن أبي القاسم شافع، وغيرهم.

ومع أنّ عبد الله النعمان لم يُصرّح باسم الجامع الّذي كانوا يدرّسون به في مدينة صبيا إلاّ أنه وعلى ما جرت به العادة أن يكون في جامع المدينة.كما كان لوجود أسرٍ علمية مشهورة فيها وفي القرى التابعة لها وهم آل شافع، وآل النمازي، وآل

---

(١٥٦) هو الأمير الجليل دريب بن عيسى بن حسين الخواجي، تولى أمر صبيا عقب وفاة الأمير دريب بن مهارش، وكان حسن السياسة، توفي سنة ١٠٠٣هـ. العقيق، حوادث هذه السنة، ص ٤٤٣.

(١٥٧) المصدر نفسه، والصفحة.

(١٥٨) عبدالله النعمان، العقيق اليماني، ورقة ١٨٨ من نسخة مكتبة الكبسي الخاصة في صنعاء.

النعمي، وآل المحلوي، وغيرهم ممن كان لهم أبرز الأثر في أن تشهد مدينة صبيا نشاطاً علمياً كبيراً خلال هذين القرنين(١٥٩).

كما كان لوقوع مدينة صبيا على طريق الحاج أثره في هذا النشاط العلمي الذي أتاح وصول علماء أجلاء من اليمن حين مرورهم بها وحطّ رحالهم فيها أثناء رحلة الحج ذهاباً وإياباً الأمر الذي أسهم في تلاقح الأفكار والمعارف بين علماء صبيا والمخلاف وعلماء اليمن(١٦٠)، كما كانت هذه المواسم فرصة جيدة لطلبة العلم للأخذ عن هؤلاء العلماء الحجاج حين المكوث بها بعضاً من الوقت فيجلسون إليهم ويأخذون عنهم، فعلى سبيل المثال عندما وصل الحافظ أحمد بن عبدالله بن الوزير (ت ٩٨٥ه) (١٦١) إلى مدينة صبيا في رحلة حجّهِ سنة ٩٨٤هـ أقبل عليه طلبة العلم يأخذون عنه، وينهلون من معارفه وعلومه، ويوضح ذلك ابن أبي الرجال بقوله: "

(١٥٩) اشتهر من هذه الأسر علماء أجلاء، برزوا في علوم الشريعة والعربية وغيرها حتى أصبحوا من أشهر علماء البلاد الإسلامية وقت ذاك ومنهم الفقيه العلامة صالح بن صديق النمازي ويعقوب النمازي من آل النمازي، ومن آل شافع العلامة المفتي الأمين بن عيسى شافع، والحسين بن محمد شافع، والعلامة حاتم بن محمد شافع وغيرهم. وبرز محمد المحلوي كأحد علماء العربية في تهامة، وابنه اسماعيل الذي وضع مؤلفاً بديعاً في العربية سماه: مفتاح الألباب لأقفال إعراب ملحة الاعراب دلّ على جودة فهمه وغزارة علمه وعلو كعبه في العربية. انظر على سبيل المثال: العقيق اليماني، وفيات حوادث السنوات، ٩٥١هـ، ٩٦٥هـ، ٩٧٩٨هـ، ٩٩٩هـ، ١٠٠١هـ، ١٠٢٥هـ، وغيرها. وإسماعيل الأكوع، هجر العلم ومعاقله، ١١٥٤/٣ وما بعدها.

(١٦٠) مصطفى الحموي، فوائد الإرتحال، مخطوط، دار الكتب المصرية، ق٣، ورقة ١٩١-١٩٢.

(١٦١) هو السيد العلامة شمس الدين أحمد بن عبدالله بن أحمد الوزير ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين، كان أحد أبرز علماء الزيدية في عصره، تتلمذ على الفقيه العلامة صالح النمازي وغيره توفي في سنة ٩٨٥هـ. انظر عنه ابن أبي الرجال، مطلع البدور ٣٢٩/١ وما بعدها، وإبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية الكبرى ق٣/١/٣/١٥٣-١٥٨، وغيرها.

فصبا إليه كل أديب، وألم بمنزلهِ كل نجيب يتروّون من معينه، ويروُون من علومه"[١٦٢].

وعلى الرغم مما مرت به هذه المدينة من كوارث ونكبات نتيجة الصراعات الداخلية بين ذوي السلطة فيها، أو كوارث طبيعية[١٦٣] إلا أنها بقيت مركزا علمياً له مكانته بين مدن العلم في المخلاف، وهجرة علمية يقصدها طلاب العلم وشُداته حتى العصور الحديثة[١٦٤].

الخاتمـة

وفي ختام هذا العرض نخلصُ إلى عددٍ من النتائج التي تمخّض عنها البحث:

– أنّ هناك من المدن والقرى التي ظهرت في المخلاف ثم اندثرت كانت تشهد نشاطاً علمياً، وبرز بها علماء ومبدعون أثروا وأثّروا في النشاط العلمي والابداعي بالمخلاف السليماني.

– أنّ العمران المتمدّن المتمثل في ظهور المدن والقرى في بلاد المخلاف السليماني – منطقة جازان - كان موجوداً وظاهراً منذ ما قبل الإسلام واتضحت صوره في العصور الإسلامية منذ وقت مبكر من التاريخ الإسلامي.

– ارتبطت نشأة العديد من المدن بأشخاص كانوا أعلاماً في زمنهم، ولهم مكانتهم في مجتمعهم سواء في المجال العلمي، أو السياسي أو ممن لهم تأثيرهم القوي على المجتمع.

---

(١٦٢) مطلع البدور، ٩٥/١.

(١٦٣) على سبيل المثال ما أورده النعمان في العقيق اليماني في حوادث سنة ٩٩٠هـ، ١٠٠٠هـ، ١٠٠٣هـ، ١٠١٠هـ، وغيرها.

(١٦٤) حجاب الحازمي، نبذة تاريخية، ص ١٠٩، على سبيل المثال.

– وضح أثر هذه المدن والمراكز في الحركة العلمية، والنشاط الثقافي في مجتمع بلاد المخلاف السليماني – منطقة جازان – ودورها في أن تكون مراكز إشعاع علمي تجاوز أثره وتأثيره نطاق الإقليم إلى البلاد المجاورة.

– كانت المساجد في هذه المدن الثلاث وفي غيرها من قرى المخلاف السليماني في تلك العصور – كغيرها من البلاد الإسلامية وقت ذاك – معاهد للعلم تخرّج في حلقات العلم بها كبار العلماء الذين تجاوزت شهرتهم بلادهم إلى مراكز العلم وقت ذاك في الحجاز واليمن وأسهمت في ضوء عدم وجود المدارس في إقليم جازان – المخلاف السليماني – في نشر العديد من الفنون والعلوم.

والحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

[١] ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح (ت١٠٩٢هـ) مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبد الرقيب مظهر، مركز أهل اليمن (صنعاء، ٢٠٠٤م).

[٢] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت).

[٣] ابن الجوزي، عبدالرحمن (ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت).

[٤] ابن القاسم، يحيى بن الحسين (ت١٠٩٠هـ) طبقات الزيدية الصغرى، نسخة مصورة عن مكتبة خاصة (صنعاء).

[٥] ـــــــ إنباء الزمن، مخطوط مصور عن نسخة معهد المخطوطات، القاهرة.

[٦] ابن المجاور، يوسف بن يعقوب (ت ٦٩٠هـ)، تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحه أوسكر لوفقرين، منشورات المدينة (بيروت، ١٩٨٦م).

[٧] ابن خرداذبة، أبو القاسم (ت ٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، ط بريل (ليدن، ١٨٨٩م).

[٨] ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٠م).

[٩] ابن دعثم، أبو فراس، (ق٧هـ) السيرة المنصورية، تحقيق عبدالغني عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر، (بيروت، ١٩٩٣م).

[١٠] ابن عساكر، أبو القاسم (ت ٥٧١هـ) تاريخ دمشق، تحقيق عمر غرامة العمروي، دار الفكر، (بيروت، ٢٠٠٦م).

[١١] ابن ماكولا، علي بن هبة الله، (ت ٤٧٥هـ)، رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى. صححه نايف العباسي، دار الكتاب الإسلامي(القاهرة، ١٩٦٣م).

[١٢] ابن ناصر الدين الدمشقي، محمد بن عبدالله (ت ٨٤٢هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ج٤، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٣م).

[١٣] الأرياني، مطهر، مقاطعة جازان في نقوش المسند، مجلة الإكليل، ع١س٢، (صنعاء، ١٩٨٢م).

[١٤] الأهدل، الحسين بن عبدالرحمن (ت ٨٥٥هـ) تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، تحقيق عبدالله الحبشي، المجمع الثقافي، (أبو ظبي، ٢٠٠٤م).

[١٥] بامخرمة، الطيب عبدالله (ت ٩٤٧هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة والسياحة، (صنعاء، ٢٠٠٤م).

[١٦] الثقفي، سليمان بن يحيى، (بعد ٥٦٦هـ) سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق عبدالغني عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث، (القاهرة، ٢٠٠٢م).

[١٧] الجعدي، ابن سمرة (ت ٥٨٦هـ) طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم (بيروت، د.ت).

[١٨] الجندي، محمد بن يوسف (ت٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد (صنعاء، ١٩٩٥م).

[١٩] الحازمي، حجاب. نبذة تاريخية عن التعلم في تهامة وعسير، (٩٣٠هـ - ١٣٥٠هـ) نادي جازان الأدبي، ١٩٨٨م.

[٢٠] الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة (الرياض، ١٩٦٩م).

[٢١] الحموي، مصطفى فتح الله،(ت١١٢٤) فوائد الإرتحال، مخطوط مصور عن دار الكتب المصرية.

[٢٢] الحموي، ياقوت (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٤م).

[٢٣] الدمشقي، ابن بهرام (ق ١٢هـ). جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، ترجمه وعلّق عليه مسعد الشامات، مركز الجاسر الثقافي (الرياض، ٢٠٠٧م).

[٢٤] ديوان الجراح بن شاجر الذروي، تحقيق محمد المحنبي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ).

[٢٥] ديوان، القاسم بن هتيمل، تحقيق عبدالولي الشميري، (مؤسسة الإبداع، ١٩٩٧م).

[٢٦] الذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ٢٠٠١م).

[٢٧] الزبيدي، المرتضى (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس في نوادر القاموس، تحقيق عبدالعزيز مطر، (الكويت، ١٩٩١م)،.

[٢٨] الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٧م).

[٢٩] الزيلعي، أحمد بن عمر، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان، المخلاف السليماني في العصور الإسلامية الوسيطة، ط١ (الرياض، ١٩٩٢م).

[٣٠] السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ)، الضوء اللامع، دار الجيل، (بيروت، د.ت).

[٣١] السمعاني، عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، مجلس دائر المعارف العثمانية (حيدر آباد، ١٩٦٢م).

[٣٢] الشرجي، أحمد بن أحمد (ت ٨٩٣هـ). طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع (صنعاء، ١٩٩٢م).

[٣٣] الصميلي، علي، العلاقات بين أسر قبائل المخلاف السليماني وولائه العثمانيين (٩٤٥ -١٠٤٦هـ)، سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي الخامس لجمعية التاريخ والآثار دول مجلس التعاون الخليجي، (قطر، ٢٠٠٤م).

[٣٤] عاكش، الحسن بن أحمد(ت١٢٩٢ه)، عقود الدرر، تحقيق عبدالحميد صالح، الجيل الجديد (صنعاء، ٢٠١٣م).

[٣٥] ـــــ الديباج الخسرواني، تحقيق إسماعيل البشري، دارة الملك عبدالعزيز.

[٣٦] العامري، أبو بكر (ت٨٩٤هـ)، غربال الزمان في وفيات الأعيان، تحقيق محمد ناجي العمر، (دمشق ١٤٠٥هـ).

[٣٧] العقيلي، محمد بن أحمد، الآثار التاريخية في منطقة جازان، مطبوعات نادي جازان الأدبي (الرياض، ١٩٧٩م).

[٣٨] ـــــ، المخلاف السليماني، مؤسسة اليمامة للنشر، (الرياض، ١٩٥٨م).

[٣٩] ـــــ، المعجم الجغرافي لمنطقة جازان، دار اليمامة، (الرياض، ١٩٧٩م).

[٤٠] العمودي، عبدالله بن علي، اللامع اليماني، نسخة مصورة عن نسخة المؤلف.

[٤١] الفاسي، محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م).

[٤٢] فيبلي، جون، مرتفعات الجزيرة العربية، مكتبة العبيكان، (الرياض، ٢٠٠٥م).

[٤٣] القبي، محمد بن حيدر (ت١٣٥٠هـ) الجواهر اللطاف المتوجه بها هامات الأشراف. نسخة مصورة عن نسخة المؤلف.

[٤٤] المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨١هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حررها وقدّم لها شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر، (أبو ظبي، ٢٠٠٣م).

[٤٥] الملك الأفضل الرسولي (ت ٨٧٧هـ)، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تحقيق عبدالواحد الخامري، (صنعاء، ٢٠٠٤م).

[٤٦] النعمان، عبدالله، (ت١٠٨٧)، الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزمان، نسخة دار المخطوطات بجامع صنعاء.

[٤٧] ـــــــ، جوهر المغاص في معرفة الخواص، نسخة مصورة عن نسخة الكبسي الخاصة (صنعاء).

[٤٨] ـــــــ، العقيق اليماني، نسخة مصورة عن نسخة الكبسي، صنعاء.

[٤٩] النمازي، أحمد بن محمد (ت ق١٢هـ)، خلاصة السلاف في أخبار صبيا المخلاف، نسخة مصورة عن نسخة الجامع في صنعاء، (أخبار وأنساب رقم ١٥٢).

[٥٠] النمازي، صالح بن صديق، النور اللائح في مشايخ صالح، تحقيق، محمد بن منصور الحاوي، مقبول للنشر في دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

[٥١] النهروالي، قطب الدين (ت ٩٩٠هـ)، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، ط٢ (بيروت، ١٩٨٦م).

[٥٢] الهمداني، الحسن بن أحمد (ت ٣٤٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، (الرياض ١٩٧٤م).

[٥٣] الوجيه، عبدالسلام، معجم المؤلفين الزيدية، مؤسسة الامام زيد، (صنعاء، ١٩٩٩م).

[٥٤] الوصابي، عبدالرحمن بن محمد (ت ٧٨٢هـ)، تاريخ وصاب. تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد (صنعاء، ٢٠٠٦م).

[٥٥] اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت٢٨٤هـ) كتاب البلدان، ط بريل (ليدن، ١٨٦٠م).

[٥٦] اليمني، عمارة بن علي الحكمي (ت ٥٦٩هـ)، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، ط٤ (صنعاء، ٢٠١٠).

[٥٧] ـــ النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، اعتنى بتصحيحه هرتويغ، (شالون، ١٨٩٧م).

The Scientific Cities in Almeklaf Alsolaimani during the middle Islamic Period: A historical and Cultural Study

Dr. Mohammad bin Mansour Al-Hawi
Associate Professor in Department of History: College of Humane Sciences
King Khalid University

Abstract. The purpose of this research is to introduce the scientific cities in the Almekhlaf Al- Sulaymany period during the tenth and eleventh centuries AH, and follow all the information about it in the historical and geographic sources, discussing the establishing of these cities and their development through the Islamic historical periods .

Also the Features of scientific life and it is influences in Al- Mekhlaf Al- Sulaimani time during these two centuries. The role of mosques in the graduation of scientists and students belonging to this region .

It also referred to the quick introduction to some of the cities and villages that emerged in the early Islamic times and then disappeared, especially Othar city the capital of the region in the early Islamic Ages, where the Great Mosque had its impact in the scientific movement at that time.